

اثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى

للمستشرق الألماني جورج يعقوب

ترجمه بتصرف

دكتور
فؤاد حسين علي
مدرس بكلية الآداب
جامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى

مطبعة مصر للطباعة والنشر
٤٠ شارع نواراشا (ساحات شارع الذواون)

١٩٤٦ - ١٣٦٥

مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

رابطہ بدیل
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



Al - ashra

اثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى

للمستشرق الألماني جورج يعقوب

ترجمه بتصرف

دكتور
فؤاد مكيين علي
مدرس بكلية الآداب
جامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى

طبع في مطبعة دار الكتب في القاهرة
٤٠ شارع فرانكسا (ساحل شارع النصارى)

١٣٦٥ - ١٩٤٦



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابطہ بدیل

مقدمة

وهذا مثل آخر من أمثلة أبناء الغرب الذين عنوا بدراسة الشرق والشرقيين ، فأغنوا المكتبة العربية بكثير من بحوثهم الفنية ، ونشروا من المخطوطات أمهات المصادر العربية من شعرية ونثرية ، وأصبحنا نحن أبناء العربية ندين لهم في نهضتنا الحديثة بالكثير مما وصلنا إليه .

وقد ولد « جورج يعقوب » مؤلف هذا الكتاب في ٢٦ مايو سنة ١٨٦٢ بمدينة (كونيغزبرج) بألمانيا ، وعنى منذ صغره بالدراسات الشرقية واللاهوتية ، إلا أنه انصرف عن الأخيرة وتفرغ للغات الشرقية والجرمانية وعلم معرفة الشعوب ، فدرس في (ليبزج) و (شتراسبورج) و (برسلاو) و (برلين) و (ارلنجن) و (جريفسفلد) على جمهرة من مشاهير مستشرق ألمانيا في ذلك العصر أمثال : (رويس) و (نولدكه) و (فليشر) و (الورد) ، وكانت الفكرة السائدة عن الشرق العربي في ذلك الوقت لاتتفق وماضينا السعيد وعصورنا الذهبية ، فالجامعات الأوروبية كانت تمهد أو تتخذه الرغبات الاستعمارية ، وجرفها تيار السياسة ففقلت أو تغافلت عن البحث العلمي الصحيح الجرد من الغايات . اللهم إلا هذا النفر القليل من بعض المستشرقين الذين تتلمذ عليهم « جورج يعقوب » وتأثر بأرائهم ، فقد أدرك أولئك العلماء أن الشرق وإن دبت فيه عوامل الضعف والانحلال وأصبح نهباً بين بعض الدول الغربية إلا أنه كان في العصور الوسطى معلم أوروبا وإليه يرجع الفضل في نهضتنا المتأخرة . لذلك نجد « جورج يعقوب » يأخذ على عاتقه العمل على دراسة هذا الموضوع وإيفاء كل ذى حق حقه ، وقد لاقى خصومات شديدة من المستعمرين

أولاً ، الذين كان جل همهم تحطيم الشرق مادياً وروحياً ، وأنصار الدراسات القديمة أعنى المدرسة الكلاسيكية التي كانت تشيد بمجد اليونان وترجع كل عوامل الرقي الأوربي إلى اليونان واليونانيين ثانياً . وقد نجحت هذه المدرسة سياسياً فحررت اليونان من تركيا وجمعت الشعوب الأوربية على هدف واحد ألا وهو وجوب التعاون سوياً والوقوف معاً في وجه الشرق والشرقيين ، وقد ظهرت آثار تلك المدرسة في أوائل القرن التاسع عشر وفي وقوف أوربا لمحمد علي بالمرصاد وفي خلق المسألة الشرقية .

في هذه البيئة كان يحيا « جورج يعقوب » وكان برماً بهذه الحياة قلقاً لأنه كان يؤمن بإيماناً صادقا بعظمة الشرق ومجده خاصة الشرق العربي الذي انبعثت منه في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد الأبجدية الكنعانية التي استعارها اليونان فالرومان فسائر الشعوب الغربية ، وغير الأبجدية أخذ الغرب عن البابليين الأشوريين كثيراً من مقومات الحضارة اليونانية القديمة ، ولم يمض زمن طويل حتى ظهرت المسيحية وشقت طريقها إلى أوربا فاستعمرت العقلية الأوربية استعماراً مازال إلى يومنا هذا قائماً . وغير الأبجدية والدين فالشرق كما شعر « جورج يعقوب » وأدرك هو معلم أوربا ومهذبها في العصور الوسطى ، لذلك كرس حياته لتحقيق هذه الرسالة فلاقي عنتاً من المغرضين وإعجاباً وتقديراً من المنصفين . أقدم هذا العالم الشاب على منازلة خصومه مزوداً بمختلف أدوات البحث ، فهو قبل كل شيء مؤمن برسائله مقتنع بصحة هذه المبادئ التي لقمته إياها الصفوة المختارة من رجال الإستشراق الألمان ، وكان أن قدم المؤلف نفسه بكتاب هو باكورة أعماله عاج فيه البضائع التي كان العرب يستوردونها من البلاد الشمالية البلطيقية ، وظهر هذا الكتاب عام ١٨٨٦ فلفت إليه الأنظار ثم أوردته في العام التالي برسالة نال بها اجازة الدكتوراه

أمام جامعة « ليزج » وموضوعها « التجارة العربية في العصور الوسطى مع البلاد الشمالية البلطيقية ». ومنذ ذلك الحين ونحن نرى عالمنا هذا يوجه جل عنايته إلى كل ماهو شرقي فدرس نبات الشرق وحيوانه دراسة دقيقة حتى قال المستشرق العظيم (فلهوزن) مرة : يجب على حكومتنا الألمانية أن تقيم حديثين لحيوان الشرق ونباته وتعين « جورج يعقوب » مديراً لهما : وإلى جانب عنايته بعلمى الحيوان والنبات أصدر كثيراً من المؤلفات حول أثر الشرق في الغرب ، وجغرافى العرب ، وشعرائهم كما نشر كثيراً من التقارير العربية التى ترجع إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين عن المدن والأقاليم الألمانية . أما كتابه عن « حياة البدو فى العصر الجاهلى » فيعتبر من خيرة الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع ، والمؤلف علاوة على هذا الكتاب مؤلفات أخرى فى المملقات ولامية العرب التى نشرها وترجمها إلى الألمانية كما درسها دراسة مقارنة وذكر جميع المراجع التى تعرضت لها . أما بحثه الخاص بتبسيط بعض قواعد النحو العربى والذى نشره عام ١٩٠٨ ، ودراسته للتوراة ومقارنته سفر نشيد الأناشيد بالشعر العربى فمن أهم الأبحاث التى عرض لها مستشرق .

لم يقف مجهود « جورج يعقوب » عند هذا الحد بل اهتم بالمرح العربى ، واستطاع بعد جهد عظيم كلفه دراسة السنسكريتية والصينية تأريخ هذا الفن المسرحى المعروف بخيال الظل ، وكان أول عهده به عام ١٨٩٢ عندما سافر للمرة الأولى إلى استنبول دارساً للحياة التركية ، ووقع نظره هناك عليه حيث كان يعرض فى شهر رمضان ، ومنذ ذلك الحين ونحن نرى هذا العالم مكباً على دراسته والبحث عنه فاتسع أمامه ميدان البحث وامتد شرقاً حتى بلغ الصين واليابان وغرباً حتى إيسلنده ، وقد عثر على كثير من المسرحيات العربية التى ألفت خصيصاً لهذا النوع من التمثيل ، ولعل أحسن

شخصية اهتدى إليها هي شخصية محمد بن دانيال^(١). وفي عام ١٩٣٠ اتفق مع مستشرق آخر وهو (بول كالا) على النهوض بإصدار مجموعة من الكتب تدور حول هذا النوع من الأدب العربي وقد وفقاً توفيقاً عظيماً. أما كتاب « جورج يعقوب » عن خيال الظل وتاريخه فيعتبر الوحيد والأول من نوعه .

ولم يكن هذا المستشرق العظيم فارس ميدان الأدب العربي فحسب بل كان من طلائع المستشرقين الألمان الذين وجهوا همهم إلى الدراسات التركية فثبتوا قواعدها أيضاً «جورج يعقوب» هو الذي جعلها مادة أساسية بعد أن كانت إضافية ، وهو صاحب المكتبة التركية التي نشر منها ما يربو على ست وعشرين مجلداً ، وهو الذي كتب كثيراً عن الشعب التركي وآدابه قديمها وحديثها ، وهو أول من عنى بدراسات الدين الإسلامي وأثره في الشعب التركي فألف في الدراويش والبككتشية ، وأوجد العلاقة بين هذه الفرق وبين الديانات السامية وثنيها ومُنزَلها ، ونشر من الوثائق التركية القديمة الكثير خاصة ما يتصل منها بتاريخ المجر (توركيا إدارة سند مجارستان) كما نشر ديوانين أحدهما لمحمد الفاتح وثانيهما لسليمان القانوني .

أما حظ الفارسية من عنايته فلم يكن أقل من حظ العربية والتركية وغيرها من اللغات الشرقية ، فقد عنى بها عندما عرض لدراسة التصوف الإسلامي ، كما درس حافظ ونظامي وترجم إلى الألمانية الكثير من القطع النثرية الفارسية في بحثه عن ناصر الدين شاه ورحلته إلى كربلاء ، كما اهتم أيضاً بالسجاد وتاريخه .

وفي ٤ يولية سنة ١٩٣٧ توفي هذا العلامة بعد أن ترك للعالم عشرات الكتب ، ومئات الابحاث ، والكثيرين من التلاميذ وعلى رأسهم (أنوليتان) الذي عرفته الجامعة

(١) راجع الثقافة العدد ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ حيث نشرت شيئاً من حياة ابن دانيال

ومسرحياته .

المصرية في عهدِها الأهلِي والحكومي أستاذاً، ومجمع فؤاد الأول للغة العربية عضواً ممتازاً. ودع هذا المستشرق العظيم العالم بعد أن أدى رسالته، فالفكرة التي هيمنت عليه طالباً وأستاذاً ومؤلفاً قد تحققت في كتابه — أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى — ففي هذا الكتاب نقرأ صورة صادقة لمتخلف العوامل النفسية التي كانت تتنازعها، كما تتجلى لنا عبقرية العالم، ودقة الباحث، وتنوع الثقافات. هنا لا يقنع «جورج يعقوب» ببيئة واحدة وشعب واحد وعصر واحد بل نراه ينتقل بالقارئ من اليابان إلى الصين وبلاد التبت والهند وإيران فبلاد العرب وسائر الأقطار الإسلامية حتى يعبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا ويصورها لنا وقد وفت تستقبل الحضارة والثقافة وسائر العناصر الأساسية لقيام المدنية الغربية، وهو في هذا العرض يتفنن في هدم آراء المدرسة الكلاسيكية كما يصف خصوم العرب الصفعات المتواليّة بإظهار فضل أبناء الجزيرة المباشر أو غير المباشر على الإنسانية. فالغرب مدين للشرق في كثير من كالياته وأوليّاته، الغرب مدين للشرق في ما كله وملبسه وحتى في مشربه فالقهوة العربية تهرت المشروبات الأوربية المحلية كما أصبح الشاي الصيني أو غيره شراب الكثيرين، وأنديته ملتقى كبار السياسيين والمفكرين. وبعد أن يفرغ المؤلف من تعداد أيادي الشرق على الغرب يختم كتابه كما بدأه داعياً إلى وجوب إحقاق الحق وتحطيم الباطل والمساواة بين مختلف شعوب العالم.

هذا ولا يسعني قبل أن أختم هذه المقدمة إلا أن أقدم جزيل شكرى لصديقي وزميلى الدكتور زكى محمد حسن أستاذ الفنون الإسلامية بجامعة فؤاد الأول لهذه اللوحات الفنية الجميلة التي قدمها لى لأضعها تحت نظر القارئ ليدرك مدى الرقى الذي بلغته الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية الماضية.

فؤاد عسّين على

رمضان سنة ١٣٦٥
أغسطس سنة ١٩٤٦

كبيراً ما خلط أصحاب الرأى القديم المحدود والثقافة بين المدرسة والحياة ، وكثيراً ما أدى هذا الخلط إلى قيام وجهة نظر جديدة لانقف أمام الاختبار ولا تحتل النقد ؛ هذا إلى محاولة أنصار هذا الرأى الخط من قيمة التراث العقلى للثقافات البشرية الأولى التى أثبتت الأبحاث الحديثة عظمتها ، وأماطت اللثام عن الدور بل الأدوار التى إعبتها فى تطور الفكر البشرى ورقيه ، وقد اهتدى علماء ما قبل التاريخ إلى أن حوض البحر الأبيض المتوسط كان المركز الذى تكونت فيه أقدم أمواج ثقافية عرفها هذا الصقع من الكرة الأرضية والذى يطلق عليه أوروبا ، وبذلك تحطمت الفكرة القديمة القائلة إن الغرب أسبق من الشرق (١) ، ودليل آخر على بطلان زعم أصحاب الرأى القديم ، هو أننا إذا قارنا بين شمال أوروبا وجنوبها ، وجدنا فروقاً بعيدة فى العقائد الدينية وغيرها من المسائل المتصلة بالحياة وفلسفتها ، فالجرمان يتبعون مجموعة الأمم التى تذكر القمر وتؤنث الشمس بخلاف اليونانيين واللاتينيين الذين يقولون العكس (٢) ، كذلك إذا نظرنا إلى العناصر الأساسية التى يتكون منها الفن الغربى وجدناها فى شمال أوروبا غيرها فى جنوبها ، والشمالى يسبح ويمجدف خلاف اليونانى ، وحتى فيما يتعلق بتربية الماشية وزراعة الأرض ، فالفوارق بعيدة بين الأوربيين ، الشماليين والجنوبيين ، ولعل السبب فى هذه الفوارق وغيرها وجود جبال الألب العالية التى تقوم حداً فاصلاً بين شمال القارة وجنوبها ، ومما يؤسف له أنه بالرغم من هذه الفوارق ، سواء تلك التى ذكرتها والتي لم أذكرها ، مازال هناك نفر من أصحاب المؤلفات الحديثة حول تاريخ النبات والاقتصاد يزعم أن كثيراً من المحاصيل الزراعية وصل إلى الجرمان إما عن طريق

الرومان في الزمن القديم ، أو عن طريق بلاد الغال في العصور الوسطى ، وهذا زعم باطل كما يقول «هوبس» (٣) ، وقد ذهب هذا العالم بعيداً فذكر أن الجرمان لم يأخذوا عن الرومان من الحبوب إلا صنف الشعير المعروف بندى السنبلتين . كما أنه من الثابت أيضاً أن جرمانيا كانت في عهد القياصرة البلاد التي تمون إيطاليا بالغال والحبوب ، والجويدار مثلاً عرفه اليونان والرومان عن طريق الجرمان الشماليين والأخيرين أخذوه بدورهم عن جيرانهم الشرقيين كما يدل على ذلك اسم الحب . فلفظ « روجن » يتصل بالاسم « روجير » و « ريجن » .

كذلك إذا عبر الشمالى جبال الألب ونزل بمنطقة أوربا الجنوبية وجد نفسه ببلاد تختلف نباتياً وحيوانياً اختلافاً كبيراً عن وطنه الأصلي الشمالى بخلاف ما إذا اتجه شرقاً حتى المحيط الهادى ، فالقوارق التي قد يلحظها قليلة أو معدومة ، ومن هنا وجد التفاوت بين سكان أوربا الشماليين والجنوبيين ، وذلك لأن الإنسان كما قيل بحق ابن يثته ، ومن الجدير بالذكر هنا أن الأبحاث الحديثة أثبتت أن تزاوجاً ثقافياً تم قبل التاريخ بين شمال أوربا وشرقها بخلاف الحال بين الشمال وحوض البحر الأبيض المتوسط فإذا سار إنسان من « أوست زيه » « البحر الشرقى » متجهاً إلى المحيط الهندى وجد بقايا المساكن التي كانت دائماً في المحيط الهندى والخليج الفارسى والبحر الأحمر ، والتي كانت تقطنها الصدفة الكورية ، والتي عثر عليها في حفائر البحر الشرقى ، وهي ترجع إلى ما بعد التاريخ (٤) ، وفي المتحف الإقليمي بدنزيج توجد نماذج من « كبريا انولوس » و « كرينولا » و « لينكس » و « مونيتا » و « تيجريس » كما نجد أيضاً صدفة كورية في أذن وجه مرسوم على إناء عثر عليه في « شتنبجلده » (انظر شكل ١) وهذه الآنية وشبهاتها ترجع إلى عصر جرمانى قديم وهو العصر النحاسى (٥) ، وقد عثر على إحدى تلك الأواني عام ١٨٩٠ عند « فيشين » بغرب بروسيا ، كما وجد في الأذنين على جانبي



(نگار ۱)

الوجه المرسوم بها ثلاث حلقات برنزية في أسفل كل حلقة صدفة كورية (٦)، وبتحف دنزيج إناء ثالث عشر عليه بالقرب منها يشتمل على طبق داخلي به « كبريا لينكس » و « كرنويلا » (٧)، وفي مدافن « نيوشتدت » بالقرب من « البينج »، عشر في مناطقها الأثرية التي ترجع إلى أوائل العصر الميلادي، على « كبريا مونيتا » (٨) وفي الحفائر التي أجريت عند « روندزن » عشر على نموذج برنزي « كبرياتيجريس » (٩) يرجع إلى العصر النحاسي أيضاً، وقد أهداه عضو البلدية « ك. بوم » عام ١٨٨٤ إلى متحف دنزيج الإقليمي، وفي « ميلرزيه » وجدت خمس صدقات كورية ومهما نقود عليها خط كوفي ترجع إلى القرنين التاسع والعاشر (١٠) وفي « جوتلند » وجدت « كبريا ميلنوستوما » ترجع إلى القرن الثامن الميلادي (١١)، وفي « بستفس » بجوتلند أيضاً وجدت ثلاث قطع من « كبريا مونيتا » (١٢) وبمدينة « مارين هوزن » عشر « فيتبسك » من أسرة ليبسكي على أكثر من خمسين قطعة من « كبريا مونيتا » ترجع إلى القرنين التاسع والعاشر، وقد نقلت هذه القطع إلى المتحف البولندي بمدينة تورن كما أشار إلى ذلك الأستاذ « كوفنتس » في خطابه بتاريخ ٩ سبتمبر سنة ١٨٧٩، ويشير « كروزه » في مذكرات الجمعية الملكية لرجال الآثار الشمالية القديمة ١٨٣٦ - ١٨٣٩ كوبنهاجن إلى مجموعة من الصدقات الكورية التي عثر عليها في إقليم البحر الشرقي، ويذكر المؤلف أنه رأى قطعة منها في القسم الخاص بما قبل التاريخ في المتحف الألماني بمدينة نورنبرج. والنتيجة التي يصل إليها بعد عرض هذه الحفائر وما عثر عليه فيها من آثار هي أن « كبريا » انتقلت منذ أزمنة بعيدة وفي عصور مختلفة نحو الشمال، وقد اختار المؤلف أهمها فذكرها واكتفى بالإشارة إلى كتاب العالم السويدي « إرنا » واسمه « السويد والشرق » (١٣) والذي يتحدث مؤلفه فيه كثيراً عن الآثار الشرقية التي عثر عليها في السويد، وغير تلك الآثار نجد النقود الكوفية (١٤)

التي وجدت في روسيا وإقليم البحر الشرقي والتي ترجع غالباً إلى ما بين القرنين الثامن والعاشر كما أن الكثرة المطلقة منها من هذا النوع الذي كان متداولاً في القسم الشرقي من الدولة الإسلامية أعنى القسم الإيراني، وتشير هذه النقود إلى كثرة العلاقات ونموها بين الشرق العربي وبلاد أوربا الشمالية، وقد عثر مرة على نقود عربية تداولت أيام حكومة « فلديمير » ويبلغ عدد قطعها ١١٠٧٧ منها ١٠٠٧٩ قطعة ترجع إلى حكومة السامانيين التي قامت ببخارى، وعثر في مائتي موضع بالسويد على نقود كوفية، كذلك في جوتلند على مجموعة أخرى كوفية يقدرها « هلدبرند » بنحو ١٣٠٠٠ قطعة كما عثر على أخرى في جزائر أوركني (١٥) وفي اسلندة (١٦)، ويحتوي متحف كيل على عدد كبير جداً من النقود الكوفية (١٧)، ولم يقف النشاط التجاري الإسلامي عند شمال أوربا بل نجده يمتد جنوباً ويتوغل في آسيا حتى يبلغ الهند. وقد عثر « فريد لندر » (١٨) في « أوبرزيكو » بمدينة « بوزن » على قطعة من النقود عليها كتابة « ديفناجري ».

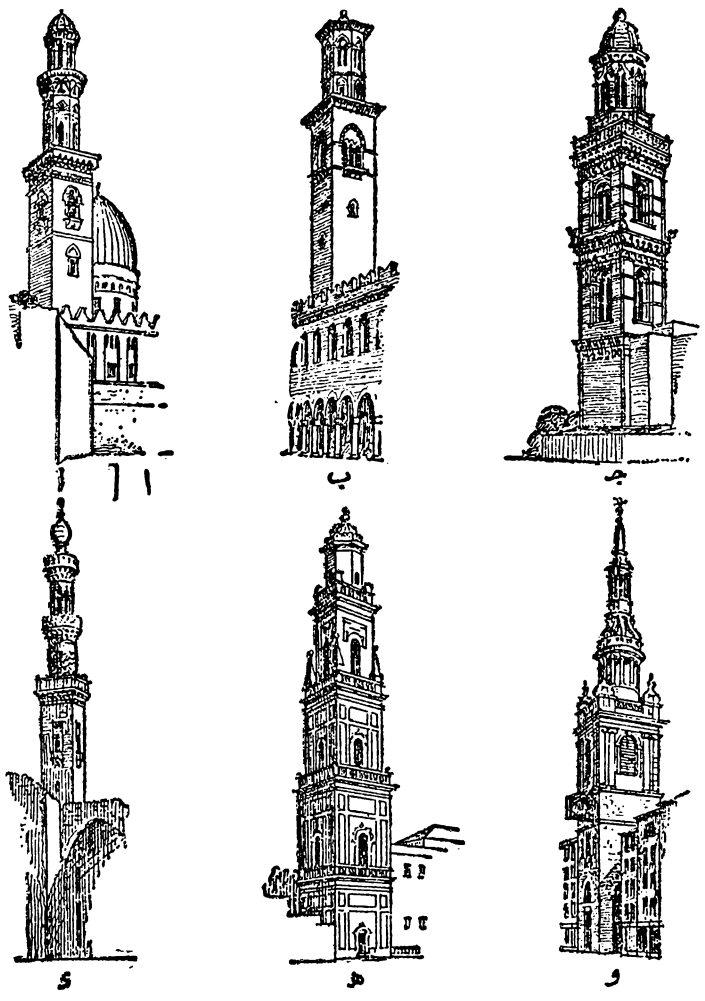


والآله

لننتقل من العصر القديم إلى العصور المتأخرة . إنا نعتقد في ديانة شرقية ، ونحيا متأثرين بطقوسها وتعاليمها . لم يفهم مؤسسها اليونانية وتكلم الآرامية ولم تستطع الآداب الهلينية أن تشق طريقها إلى المسيحية بخلاف وجه الشبه الذي نجده بين بعض تعاليمها وبعض محتويات بردية ديموطيقية (١٩) ، ويكفي أن نقرأ في موعظة المسيح على الجبل قوله : طوبى لضعاف العقول لأن لهم ملكوت السموات : نندرك بعد هذا الدين عن التعاليم الهلينية ومعارضته لها . وقد أثرت المسيحية في حياة الغرب تأثيراً قوياً حتى أن بسمارك قال : الديموقراطية الاجتماعية هي المسيحية العملية : والشبه قوى جداً بين قباب الكنائس العالية ومساجد الشرق ذات المآذن الرفيعة ، وفي الكنيسة نجد ما يشبه محراب المسجد ومنبره ، والمسيحي في كنيسته يشعر شعوراً يخالف ذلك الذي يشعر به داخل المعبد القديم حيث السقف المسطح الذي لا يترك في النفس الأثر الذي تتركه القبة السماوية العالية . ويلاحظ كذلك أن آلهة المعابد لاصقة بالأرض ، ويخيل للناظر إليها كما لو أنه رابضة في أقباص ، وما أعدتها إلا كلقضبان . وطقوسها تتجلى في قرابينها الدموية بخلاف المسيحية حيث دونت عباداتها في كتب مقدسة وإن كانت مقتبسة من اليهودية وتؤدي أحياناً بطرق يظهر فيها الأثر الفارسي . أما نواقيس الكنائس المسيحية فمأخوذة عن الطقوس الصينية ، وهي قديمة جداً في الشرق ، وقد ترجع إلى الألف الثاني ق. م. (٢٠) والمسيحي يؤدي صلاته لا على الطريقة الهلينية ببسط يديه إلى المعبود بل بضمهما إلى صدره بطريقة تقرب من تلك التي نجدها في الصلاة الهندية (٢١) وذلك بوضع باطن اليد على باطن اليد الأخرى دون اشتباك الأصابع

(بدها نيلى) . أما المسيحية فقد جاءت إلى المسيحية من الهند عن طريق المسلمين .
وعيد الميلاد الجميل عند الألمان أصوله شرقية فهو العيد الإيراني القديم (زرزن) أى
(زمن) ، وهو بعينه الذى أطلق عليه فى الإسكندرية (أيون) (٢٢) و (زرزن) هذا
أو (أيون) يتجدد عندما يحتفى سلفه كطفل (٢٣) فى النور . وتماثيل العذراء ترجع
إلى صورة إيزيس ، كما أن تصوير ميلاد (مترا) من بين الصخور مصحوباً عادة
بصلاة لرعاة يذكرنا دائماً بهذه العناصر الدينية التى تتجلى فى رعاة على قمم الجبال
يحيمون كل صباح إله الشمس الذى يولد كل يوم من جديد . وتجدد الميلاد عند
المسيحيين يفهم فقط عندما نستعرض أمامنا هذا المنظر . كذلك الفلسفة المسيحية
فى العصور الوسطى تتفق تماماً مع الفلسفة الإسلامية ، كما أن التصوف الألمانى أقرب
إلى الفارسي منه إلى تصوف العالم القديم . وفى الغرب نجد الراهب ، وفى الشرق
الدرويش ، والراهب والدرويش يتبعان فى حياتهما نظاماً خاصاً وضعه مؤسس الطريقة
التي يتبعها الراهب أو الدرويش ولو وجد بعض خلاف بين الدير والتكية . وفكرة
الراهب المتسول تتفق وفكرة (بهيكهو) فى البوذية . وحتى اليوم نجد عناصر هندية
تتصل بالحياة ، والنظر إليها ، تسربت إلى أوروبا عن طريق شوبنهاور والآراء الفلسفية
التيوزوفية والانتروبوزوفية التي يعتنقها كثيرون من رجال الغرب (٢٤) . والخرافات
المنتشرة بين الشعوب الأوروبية ترجع كثرتها إلى البابليين كخراب البين والشهر الثالث
عشر (٢٥) وعطلة يوم الأحد التي تلاحظ بشكل واضح جداً فى إنجلترا ، بابلية أيضاً
ولو أنها كانت تقع عند البابليين فى يوم السبت لاعتباره من الأيام التي تقع تحت
تأثير كوكب نحس ، لذلك كان غير مستحسن القيام بعمل تجارى فى ذلك اليوم . والواقع
ان الراحة يوم السبت التي أخذها الإسرائيليون عن البابليين مصدرها هذا التشاؤم
بالرغم من كل المحاولات والتعديلات التي يحاول العهد القديم بثها بين معتقيه . والعبه

المنتشرة في بروسيا الشرقية ، والتي تلعب في نهاية كل عام ، ويطلق عليها الألمان (الحظ والبركة) ترجع في الواقع إلى عناصر فلكية كانت معروفة في العصور الوسطى.



شكل يبين لنا الشبه القوي بين المآذن وأبراج النوايس

يستخدم

الغرب (كتابة) صوتية اخترعها الشرق ، وتكتب على مادة من صنع الصين . وتستخدم أوربا أيضاً في حسابها (أعداداً) يرجع فضل معرفة رجال الغرب بها إلى العرب، كذلك الحال فيما يتصل بالطريقة المتبعة في (طباعة الكتب) وقد عرفها شرق آسيا قبل أوربا بقرون عديدة ، وقد ظلت جهود الشرق في هذه الناحية وغيرها مجهولة زمناً طويلاً . و(إبرة المغنطيس) ، التي يسرت الملاحة ، صينية الأصل . واستعاض الشرق عن البرق (٢٦) بوسيلة أخرى استخدمها من قبل الحروب الصليبية (٢٧) ولم تعرفها أوربا إلا في القرن التاسع عشر . و(العربة) فشكلها وتركيبها عبارة عن ذلك الشكل وهذا التركيب اللذين نجدهما في العربة الصينية التي يحملها الرجال ، وقد دخلت أوربا في عصر الروكوكو (٢٨) مع استخدامها على العجل . وفي الحروب تعتمد الجيوش على (البارود) وهو اختراع صيني ، وحتى نظام الجيش البروسي القديم فقد تسرب إليه الأثر الشرقي . وما (آلة الشخصنة) المستخدمة في موسيقى الجيش إلا من ذكريات الحروب التركية ، وما (راية الفرسان) ، وما (القلع) الذي نجده في غطاء رأس الفارس ، وما هذه (الطبعة التي تشبه الوعاء) إلا من آثار الجيوش التركية وحتى عهد قريب كانت تطلق بافاريا على الأسلحة الجانبية الإسم التركي ، وفي لفظ (اميرال) نجد الكلمة العربية (أمير) و(ال) ، وفي (أرنال) العبارة العربية (دار الصناعة) . كذلك كثير من تقاليد القصر الألماني جاءت من الشرق . وبعض الألعاب المنتشرة في أوربا شرقية الأصل وحتى تلك التي نجدها في أسواقنا الشعبية السنوية . و(القطن) الذي حاربه الكنيسة في العصور الوسطى لأنه قماش

إسلامي غزا اليوم العالم، و (التوابل) و (القهوة) و (الشاي) و (السكر) و مواد أخرى أساسية للمنزل كلها شرقية وعن الشرق أيضاً أخذ الغرب فن تنسيق الأراضي والحدائق والمنتزهات وما بها من (شميرات زوات أزهار بيضاء أو حمراء) و (ياسمين) و (مقائس) و (كسثناء). واللغات الأوروبية ملأى بالألفاظ والمصطلحات الشرقية مثل (الجبر) و (الكحول) و (القبة) و (النبذة) و (العرو) و (الأطلس) و (بازار) و (فز) و (هورودة) وأصلها الكلمة التركية التي معناها جيش. و (ياسمين) و (هبة) و (جوهرة) و (كرشتر) أي (فراء) و (لك) و (العود) و (المخزنة) و (بنج) و (غازية) و (رزمة) و (سبطان) من الفارسية (جولان) و (شرب) و (صوفان) أي (صفة) و (تفت) و (تعريف) و (تواب) أي (مقائس) و (السمت) و (صفر) و (سكر) (٢٩). وحتى بعض أسماء النجوم مثل (الدرابه) و (القول) الذي أطلق عليه هذا الاسم لتغير قوة نوره بسبب طبيعته، فهو يشبه الغول عفريت الصحراء في قلبه وكذلك النسر (الواقع) (Vega)، وغير تلك الألفاظ نجد كثيراً من الكلمات والاصطلاحات العبرية تدخل اللغات الأوروبية عن طريق الكتاب المقدس (٣١) مثل (ابن الانسان) فهي العبرية (برؤناسه) وهي التي انتقلت إلى الألمانية في التعبير Menschenskind وكذلك (ريساك) Rupsack فهي العبرية (رب شاف) وأحياناً نجد بعض الأسماء محتفظة بالنطق العبري الأشلي مثل (Mammon) فهي (مأمونه) و (كربني) و (بليتي) و (نوهو وروهو) أي (ضربة هالية)، وكذلك (سبولت) فهي العبرية (سبولت) أي سنبله وهما جرا. وغزا أوروبا أيضاً عدد كبير من أسماء الإناث الواردة في الكتاب المقدس مثل (اليزابت) أو (البصابات) فهي العبرية (اليسبع) (٣٢) و (بوهنا) التي هي (بوهاناه) و (ماري) مريم و (سوزاه) هي (شوش) ومعناها (سوسه). وكذلك أسماء بعض قياصرة ألمانيا مثل (ميناس)

١٦١٢ — ١٦١٩ فهو العبرى (منيا) وكذلك (يوسف) فهو (يوسف) . والملابس الرسمية للقيصرة الألمان في الزمن السالف مزركشة بكتابات عربية (٣٣) ورمز الدولة الألمانية الذى هو عبارة عن نسرين أصله شرقى (٣٤) ، وحتى ميشيل الألماني فاسمه عبرى .

لكن لا يريد المؤلف أن يقع فى أخطاء غيره ويندفع فى تيار الجماعة القائلة إن العالم يدين فى ثقافته الحالية كلها للبابليين أو لأصحاب الثقافات القديمة . وتذهب هذه الجماعة بعيداً وتسجل كل استعارة من الثقافة القديمة ربحاً للحضارة الحالية ، ولا يساءل أفراد هذه الجماعة أنفسهم عن الخطر الذى قد يهددنا بالعودة إلى الوراء من جراء تلك العوامل المؤثرة التى تهب على مدينتنا وحضارتنا من نواحي مختلفة . ويعتقد المؤلف أيضاً أن فى الآداب الشعبية توجد أفكار شعبية كثيرة تسبب كثيراً من المشاكل ، كما يذكر ذلك أيضاً (هنز نومانه) (٣٥) فهو يعتقد أن هناك ثقافة بدائية تشترك فيها سائر الشعوب ، وإن كان المؤلف يرى أنه بالرغم من وجود هذه الثقافة المشتركة إلا أن هناك ثقافات تقوم فى أقطار مختلفة ، وقد تكون هذه الثقافات متشابهة بالرغم من قيامها مستقلة ، وهى فى كل إقليم بعيدة عن التأثير بغيرها . وليس معنى هذا أن شعباً لم يأخذ عن غيره شيئاً من ثقافته أو مخترعاته كما تبيننا ذلك فيما سبق ، ويجب ألا نتورط فى الخطأ الشائع ونعتبر كل مسمى باسم أجنبى دخيلاً بدليل أن الألماني يطلق أحياناً أسماء أجنبية على مخترعاته هو الخاصة كما هو الحال فى لفظ «تلجرافى وليننوجرافى» وهما جرا .

ومر
 أهم العناصر الأساسية في قيام الثقافة استخدام الكتابة الصوتية ، فن اليونانية اللاتينية نشأت فيما يُعتقد في « البحر الأسود » الكتابة المعروفة باسم « روننفوتهارك » ، وفي إيطاليا أصبحت الكتابة اللاتينية أيام فريدرش الثاني «من أسرة الموهنشتوفن» الكتابة الرسمية ، ثم جاءت بعدها الألمانية ورسمها إلى اليوم يتفق والورق العربي الذي كتبت عليه قديما ، لكن مما يؤسف له أن الألمان ضخوا بخطهم القديم الجميل في سبيل خط كان يكتب أصلا على الحجر ، ومن ثم على الورق وتطور من خط كله زوايا إلى آخر مربع . لكن إذا علمنا أن هدف الإنسانية الذي تسعى إلى تحقيقه هو تيسير طرق التفاهم وتسهيل وسائل التعاون أدركنا أننا لسنا على حق في التفرقة بين خطنا والخط الإنجليزي . واليونان وقد قاموا بدور الوسيط في سبيل تيسير الكتابة ونشرها يعترفون صراحة أنهم يدينون في هذه الرسالة للشرق والشرقيين ، فالأبجدية الحالية سامية رسماً واسماً ، وقد أثبت العلامة «ليدزبارسكي» (٣٦) بالدليل القاطع علاقة الكتابة اليونانية بالسامية وكيف أنها أخذت عنها . ومما هو جدير بالملاحظة أن الخط اليوناني جمد بعد ما بلغ مرحلة من التطور خاصة ، وأصبح عاجزاً عن مجارات الخط السامى وتطوره الفنى الجميل هذا التطور الذى نلاحظه في غير الكتابة السامية أيضاً مثل الصينية والقوطية . وصدق العلامة « يوليوس اويننج » الذى اعتاد أن يقول إن الألف العربية التى أتقنت كتابتها أوقع في نفسه من صورة عذراء جميلة بريشة رفايل . وذلك لأن الحروف اليونانية خاصة حروف التاج تترك في نفس الناظر إليها أثراً شيئاً إذا ما قورنت بالخط العربي وخاصة ذلك الذى

تخطه أيدى كبار الخطاطين . وقد يكون الشعب الفينيقي ليس هو مخترع الأبجدية إلا أنه من الثابت أيضاً أن أصحابها ساميون لا آريون ، والدليل على سامية تلك الأبجدية أسماء حروفها ولو أن بعض هذه الأسماء مثل « هـ » و « حيت » و « طيت » و « صاد » و « قوف » لا نعرف لها في السامية اشتقاقاً ثابتاً يُعتمد عليه ويؤخذ به . وقد يكون هذا الغموض راجعاً إلى أن أسماء هذه الحروف من بقايا لغة المخترع الأصلي التي ضاعت لكن يجب أن نعترف أيضاً أن ما وصلنا من لغة الفينيقيين قليل ضئيل ، كذلك الحال مع ما نعرفه من لسان بعض الشعوب السامية الأخرى كالآدوميين . ولو أن فكرة الحروف الصوتية نشأت في محيط العالم الثقافي دفعة واحدة إلا أنه أضيف إليها بعض الزيادات كما هو مشاهد عند اليابان مثلاً وعند « الباتاك » في سومطره ، وكذلك عند « الوى » بإفريقيا . والغريب أنه لم يفكر شعب أوربي في القيام بمثل هذا العمل . والهنود (٣٧) والبارزيون يكتبون رسائلهم المقدسة بكتابة يرجع إلى الفينيقية أو بتعبير أدق إلى الكنعانية (٣٨) . وفيما يتصل بتطور الخط والكتابة نجد علماء المصريين والأشوريات يساهمون بنصيب كبير في كشف هذا القناع ووضع يدنا على عملية هذا التطور وكيف تمت قديماً في الشرق . وفي عام ١٩١٦ نجد المستشرق الانجليزي « جردنر » ينشر بعض النقوش المكتوبة بخط لم يكن معروفاً من قبل ، هو الحلقة المفقودة بين الهيروغليفية المصرية والكنعانية (٣٩) وبعد دراسات عميقة قام بها « فون بيسنج » (٤٠) ثبت أن هذه النقوش ليست أقدم من عام ١٥٠٠ ق . م . وفي بعض إشاراتها نستطيع أن نتعرف بسهولة إلى بعض إشارات الكتابة الهيروغليفية ، كما نجد الشبه قويا جداً بينها وبين الكنعانية ، ففي هذه نستطيع أن نتعرف مثلاً إلى كلمة « بعلت » التي هي الاسم الكنعاني لها تور . ويظهر أن الساميين استعاروا الصورة التي استخدموها في أبجديتهم للدلالة على الصوت الأول من التسمية السامية من المصريين .

والله

نسأل أنفسنا هذا السؤال . ماذا جنت ثقافتنا من وراء هذا النوع من الكتابة ؟ ليس تسهيل القراءة ، وذلك لأن علم النفس أثبت أن مثلنا مثل الصينيين ، فنحن لا نقرأ حروفا بل كلمات ، ومن هنا نجد صعوبة عند قراءة جملة في لغة أجنبية ، وقد أدت هذه الحالة النفسية إلى أننا نكتب أحيانا بعض الكلمات مختصرة بحيث أن الحروف لا تعبر كاملة على نطق الكلمة ، مثلا لكتابة كلمة « ليزج » نكتفي أحيانا بكتابة « ليزج » أى نكتب الحروف الصامتة هنا فقط ونحذف الحركات ، وهذا النوع من الكتابة هو الذى أدى إلى ظهور النقص فى الإملاء هذا النقص الذى أدى إلى تشويه كتابة الكلمة وبتأصواتها ، وليس هذا هو العيب الوحيد الموجود فى كتابتنا فهناك عيوب أخرى منها أننا نستخدم أكثر من إشارة للدلالة على الصوت الواحد كما هو الحال فى الألمانية حيث نجد الاشارتين « v و f » للتعبير عن الصوت الذى نعب عنه فى العربية بالإشارة « ف » ، كذلك نجد الكتابة تستخدم الإشارة الواحدة للدلالة على عدة أصوات كما هو مشاهد فى الانجليزية مثلا حيث نجد الإشارة « a » تنطق حيناً فتحة وحيناً ألفاً وحيناً ضمة ، لكن بالرغم من أوجه النقص هذه التى ذكرت والتى لم تذكر فقد أدى استخدام هذه الأبجدية السامية إلى نشر الكتابة ونشر الثقافة لأن حروفها يسرت للطباعة مهمتها وعاوتها على الظهور . وفائدة أخرى لهذه الأبجدية هى تلك التى تتجلى فى استخدام البرق ، وما كان ذلك بممكن أو بمستطاع لو كنا نستخدم كتابة الصور أو المقاطع . نعم إن كتابتنا ناقصة من الناحية الصوتية وذلك لأن الإشارات الدالة على الحروف تعبر

في نفس الوقت على مخارجها وطريقة تكوينها كما أن أصواتها في حاجة إلى أن تفصل وكتابتها أن تبسط لكن بالرغم من جميع هذه العيوب ما زالت أتم أداة أوجدها الإنسان .

هبة أخرى من هبات العقل الشرقي لا تقل أهمية عن اختراع الأبجدية وصلت أوروبا في العصور الوسطى وهي (نظام العدد العربي) الذي هو عبارة عن آخر بقايا الكتابة الفكرية في كتابتنا الحالية ، ولكي نشخص كتابة العدد وموضعه من حيث تقديمه وتأخير من عدد آخر ، أو من حيث قيمته بالنسبة للصفر نتصور جدولاً لوغاريتمياً بأعداد يونانية أو رومانية . كذلك ندرك قيمة هذه الأعداد العربية إذا ذكرنا العلوم الرياضية والميكانيكية والفلكية الحديثة وحتى الحساب لتتصور عملية جمع أو طرح أو ضرب أو قسمة بحروف رومانية ولتتصور كتابة عدد كالآتي : CICICCCCLXXXVIII على غلاف كتاب كما كان ذلك منتشرًا قبيل عام ١٨٨٨ ، وكل لغوى يدرك بسهولة كيف أن استخدام الحروف الرومانية الدالة على الأعداد كان مصدر الأخطاء المطبعية الفاحشة . أما ترتيب كتابة الأعداد والصفر فمن اختراع الهنود ، وقد حدثنا عن ذلك العالم العربي اليعقوبي أحد علماء القرن التاسع في تاريخه الذي نشره (هوتسا — ج ١ ص ٩٢ — ٩٣) . فقال : —

« قال أهل العلم إن أول ملوك الهند الذين اجتمعت عليه كلمتهم (برهن) الملك الذي في زمانه كان البدء الأول ، وهو أول من تكلم في النجوم وأخذ عنه علمها ، والكتاب الأول الذي تسميه الهند (السندهند) وتفسيره « دهر الدهور » ومنه اختصر (الأريجهر) و (المجسطى) ثم اختصروا من (الأريجهر) الأركند ومن (المجسطى) كتاب بطليموس ، ثم عملوا من ذلك المختصرات والزيجات ، وما أشبهها من الحساب ووضع التسعة الأحرف الهندية التي يخرج منها جميع الحساب الذي لا يدرك معرفتها

وهي ٣٢١ ٤٥٦٧٩ فالأول منها واحد، وهو عشرة ومائة، وهو ألف، وهو مائة ألف، وهو ألف ألف، وهو عشرة آلاف ألف، وهو مائة ألف ألف، وعلى هذا الحساب أبدا فصاعدا. والثاني وهو اثنان، وهو عشرون (وهو مائتان وهو ألفان وهو وعشرون) ألفاً، وهو مائتا ألف، وهو ألفا ألف، وعلى هذا الحساب يجرى التسعة الأحرف فصاعدا غير أن بيت الواحد معروف من العشرة وكذلك بيت العشرة معروف من المائة وكذلك كل بيت، وإذا خلا بيت منها يجعل فيه صفر ويكون الصفر دارة صغيرة.»

أما «الصفر» فلم يجار بقية الأعداد في تطورها وسلك طريقه الخاص. كذلك الحال مع الإشارة الدالة على عدم وجود قيمة، والتي تعتبر بحق من أحسن ما اهتدى إليه العقل البشري، هي من اختراع الشرق، وقد سمرت بأدوار هامة في تاريخ الثقافة البشرية. فالثابت أن الغرب لم يعرف الصفر قبل القرن الثاني عشر الميلادي بينما تحدثنا المصادر العربية أن المساميين كانوا يعرفونه في القرن الثامن وكانوا يسمونه حلقة، فكتب الأدب العربي حفظت لنا هذه القصيدة التي قالها الإعرابي (٤١) لما أغزاه الوليد بن يزيد الأسود بن بلال المحاربي البحر، وفيها يشير إلى استخدام الحلقة للدلالة على عدم وجوده: —

أقول وقد لاح السفينُ مُلَجَّجًا	وقد بَعَدَتْ بَعْدَ التَّقَرُّبِ صَوْرُ
وقد عصفت ريحٌ وَلِلْمَوْجِ قَاصِفٌ	وَلِلْبَحْرِ مِنْ تَحْتِ السَّفِينِ هَادِرُ
ألا ليت أجرى والعطاء صفاهم	وحظي حَطُوطٌ فِي الزَّمَامِ وَكُورُ
فله رأيٌ قَادِي لِسَفِينَةٍ	وَإِخْضَرَ مَوَّارِ السَّرَارِ يَمُورُ
تري مَتْنَهُ سَهْلًا إِذَا الرِّيحُ أَقْلَعَتْ	وَإِنْ عَصَفَتْ فَالسَّهْلُ مِنْهُ وَعُورُ
فيا ابن بلال للضلال دعوتني	وما كان مثلي في الضلال يسير

لئن وقعت رجلاى فى الأرض مرّة
وسلمت من موج كأن متونه
لتعترضنّ اسمى لى العرض حلقة
وقد كان فى حول الشربة مقعد
ألا لى شعرى هل أقولنّ لفتية
دعوا العيس تُدنى للشربة قافلا
وحان لأصحاب السفين وُكور
حراى بدت أركانه وثبير
وذلك إن كان الإياب يسير
لذيد عيش بالحديث غزير
وقد حان من شمس النهار ذور
له بين أمواج البحار وُكور

ولست هذه القصيدة هى الدليل الوحيد الذى يساق للتدليل على أن عدم وجود القيمة كان يعبر عنه المسلمون بالصفير ، وأن الصفير كان عبارة عن حلقة ، بل هناك مصادر أخرى كثيرة منها كتاب النقط لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى . فقد جاء به فى ص ١٥٠ « قال أبو عمرو وهذه الدارة التى يجعلها أهل النقط قديماً وحديثاً على الحروف الزوائد فى الخط المدومة فى اللفظ ، وعلى الحروف الخفيفة هى مما جرى استعمال أهل المدينة لها فى ذلك من مصاحفهم . . . وهذه الدارة نفسها هى الصفير الصغير الذى يجعله أهل الحساب على العدد المدوم فى حساب الغبار دلالة على عدمه . »
وغير كتب القراءات والمصاحف ودواوين الأدب نجد كتب النحو المفصلة تخصص للصفير بعض صفحاتها عند كلامها عن السكون أو العدد كما فعل ابن يعيش مثلاً فى ج ٩ ص ٦٨

ويعتقد المؤلف أن سلسلة من الظواهر المتصلة بالصفير وتطوره قد مرت على الإنسان قديماً وأهلها ، مثل الإشارة الدالة على الحذف تنوعت واختلقت فأحياناً يعبر عنها بواسطة دارة ، وأحياناً بواسطة نقطة كما هو ملاحظ فى النصوص العبرية للعهد القديم حيث توضع نقطة فوق الحرف للإشارة إلى خفته (قارن مثلاً النص العبرى للتوراة سفر التكوين الإصحاح السادس عشر الآية الخامسة) وإذا رغب فى الإشارة إلى إلغاء

الكلمة كلها وضعت نقط على جميع حروفها (تكوين إصحاح ٣٣ آية ٤) واستخدام هذه النقطة في التلمود (٤٢) دليل على أنها أقدم من نظام الحركات الماسورى الذى لم يعرفه التلمود . كذلك فى النص الكوفى من (سجل فنسشتين رقم ٥) (٤٣) نجد نقطة صفراء مستخدمة كإشارة للحذف . وحتى اليوم يلقى الألمانى الخط أو الخطوط التى أراد التعبير بها عن حذف كلمة بوضع نقط ، وهذه النقطة أيضاً هى بعينها المستخدمة للدلالة على الاختصار . أما العلاقة بين هذه النقطة وبين الصفر فمرببة جداً ، وذلك لأن الصفر الذى يشار إليه اليوم برسم دائرة كان يعبر عنه قديماً كما هو الحال إلى اليوم عند العرب ، بواسطة نقطة . وغير النقطة تستخدم العربية إشارة أخرى للدلالة على عدم وجود الحركة ويطلق على هذه الإشارة عادة (جزمة) وهى عبارة عن دائرة مفتوحة من أعلى ولا صلة لها بالبتة برسم الصفر إذ أنها عبارة عن تطور خطى لرسم حرف الجيم فى العربية (٤٤)

والآن نوجه إلى أنفسنا السؤال الآتى أين استعمل الصفر للمرة الأولى كوحدة حسابية ؟ عثر العلامة (هرنله) فى قطع هندية ترجع إلى القرنين الثالث أو الرابع وتشتمل على بعض المواضيع الحسابية على الصفر لكنه استعمل فيها للدلالة على المجهول (٤٥) ، وإذا تركنا الهند إلى الصين لوجدنا الأمر غامضاً صعباً ، وذلك لأن قطع العملة الصينية التى عثر عليها والتى كان ينتظر ظهور الصفر بها لا تقدم معلوماتنا خطوة واحدة فى بعض هذه القطع نجد الصفر ، وفى البعض الآخر لا يوجد للصفر أثر ، وحتى تلك التى جاء فيها الصفر لا يمكن الاعتماد عليها . وفى غير الهند والصين نجد أمريكا تساهم بنصيب وافر فى سبيل تاريخ الصفر ونشأته وذلك لأنه عثر عليه وعلى أجزائه فى التويم الذى يرجع إلى ما قبل اكتشاف كولبس للقارة الجديدة ، والذى يطلق عليه تويم (مايا) فقد جاء الصفر فى تلك النقوش معبراً عنه بواسطة رسم يشبه الصدفة

الجوفاء (٤٦) . ومن الجدير بالذكر هنا أن الهنود يطلقون على الصفر لفظ (سونيا) أى فارغ أو (كها) أى هواء . والإشارة الدالة عليه تسمى فى لغتهم (بندو) أى نقط . أما لفظ (صفر Ziffer) فهو العربى (صفر) بمعنى « خلا » وتدل اللفظة فى الألمانية على معنى « لاشىء » وقد استخدم (مارتين لوتر) لفظ (صفر) للتعبير عن ضعف الأساقفة أمام البابا ، إذ قال ما معناه : إنهم يجلسون كالأصفار (٤٦) . وفى القرن السادس عشر نجد لفظ (صفر) فى الألمانية يتطور تطوراً آخر فيستخدم مقابلاً للفظ (شفر Chiffre) للتعبير عن كل إشارة عديدة ، بينما استخدمت اللغة لفظ (زيرو Zero) للدلالة على « لاشىء » وقد حاول (كرومباخر) (٤٧) إرجاع لفظ (صفر) إلى الكلمة اليونانية (فسو (فو) ريا) فلم يوفق وذلك لأن اللفظ فى حقيقته عربى ولا نعرف فى لغة القرآن الكريم ظاهرة صوتية تؤيد احتمال انتقال هذا اللفظ من اليونانية إلى العربية بصيغته الحالية . ولفظ (صفر) هذا قد استخدم فى الشعر الجاهلى للتعبير عن معنى « خلا » فيروى أن حاتم قال فى قصيدته التى مطلعها : —

أساوى قد طال التجنب والمجر وقد عذرتنى فى طلابكم العذر

البيت الآتى :

ترى أن ما أهلكت لم يك ضررتى وأن يدي مما بخلت به صفرُ

لذلك استقر رأى العلماء على اشتقاق هذا اللفظ من هذا المعنى العربى القديم

(٤٨) والذى نجده أيضاً فى الهندية « سونيا » .

وكما أن الشرق هو وطن الإشارة الدالة على (صفر) فهو أيضاً وطن الإشارة

الدالة على « القيمة المجهولة » ، وقد قامت حول هذه العلامة عدة افتراضات ترمى إلى

إرجاعها إلى العالم القديم « ومن أنصار هذا رأى ، (پروهيت) الذى كان يرى

فى (ت . هنرى) نابغة عبقرياً (٤٩) ويعتقد هذا الفريق من العلماء أن علامة (X)

المستعملة في الغرب ما هي إلا الإشارة الرومانية الدالة على العدد ١٠٠٠ أعني $\infty (= CID)$ والواقع أن افتراض مثل هذا الفرض يدل على شيء كبير من عدم الدقة والعناية التي يعالج بهما رجال الرياضة وخاصة علماء الحساب العدد ، وذلك لأنه كيف تستخدم الإشارة الدالة على ١٠٠٠ في لغة ما للدلالة في نفس الوقت على عدد مجهول أو عدد آخر؟ وقد هدم هذا الرأي المستشرق (لاجارد) إذ أثبت (٥٠) أن العلامة (X) التي يستخدمها الرياضيون ما هي إلا مختصر الكلمة العربية (شيء) التي استخدمت في القرن الحادي عشر للدلالة على العدد المجهول وكانت هذه الكلمة (شيء) تكتب قديماً في اللغات الأوربية (كسي Xei) كما يتبين لنا ذلك أيضاً من استعمال (بدروده الكالا) لها . والتجانس التام بين استخدام الغرب والشرق لهذه الإشارة يؤيده كل مطلع على مؤلفات علماء الرياضيات من العرب .

وانتقال الأعداد العربية إلى الغرب له تاريخه الخاص ، وقد حاول نفر من العلماء إرجاع هذه الأعداد إلى أصل غربي إلا أن التوفيق خان أولئك الباحثين كما خان تلك الفئة التي عرضت للأبجدية . فقد حاول « سديلوت » إرجاع كتابة هذه الأعداد العربية إلى الأعداد الرومانية (٥١) فأخفق إذ بنى آراءه على الخيال لا على الحقائق التاريخية الثابتة . نعم إن الأعداد العربية ليست من اختراع العرب بدليل كتابتها من الشمال إلى اليمين على خلاف ما نعرفه عن كتابة الأبجدية في معظم اللغات السامية أعني من اليمين إلى الشمال إلا أن العرب كانوا وسطاء هنا فقط بخلاف الأعداد التركية المعروفة باسم « سياقة » والتي كانت مستخدمة في دفاتر الحساب أيام الانكشارية فهي متصلة بالأعداد العربية إذ أنها مختصرة منها . أما الأعداد المعروفة في أوربا باسم الأعداد العربية فهي هندية الأصل كما أثبت ذلك العالم « جورج يعقوب كير » عام ١٧٢٥ (٥٢) ويرى العالم « برنسب » (٥٣) أن الإشارات الدالة على الأعداد

الهندية نشأت من الحروف الأولى للكلمات الدالة على هذه الأعداد وإن تكن هذه المقارنة لطيفة ، لأنها تعيننا على فهم العدد المعروف باسم « سياقة » وتطوره كما تلقى ضوءاً قويا على الكتابة السامية ، إلا أن صاحب هذه النظرية نسي احتمال وجود تشابه بين الإشارات المختلفة وأن هذا التشابه قد تكون مصدره الصدفة (٥٤) .

والواقع لإصدار رأى صائب في هذا الموضوع يجب جمع الوثائق المؤرخة الواردة بها أعداد إلى بعض (٥٥) ، وقد وجد أن أقدمها هي تلك التي تدبين منها بوضوح انتقال هذه الأعداد الهندية إلى العرب ، وقد نشر هذه الوثيقة العالم « كارابشيك » في دليل معروضات ورق البردي المسمى « بردى أرز هرزوج رينر » ص ٢١٦ — ٢١٧ ، وهذه الوثيقة عبارة عن بردية فيومية جاءت تحت رقم ٧٩٨ من مجموعة (فينا) ، والنص عبارة عن إقرار باستلام قسط قدره درهمان ، وتاريخ البردية يرجع إلى عام ٥٢٦٠ هـ ٨٧٣ — ٨٧٤ م (٥٦) ، وقد كتب المبلغ بالعدد العربي . وفيما يتصل بالوثيقة الثانية التي تلي هذه في القدم يُرجع إلى « كارابشيك » في المجلد الحادى عشر لعام ١٨٩٧ من مجلة المستشرقين النمساويين ص ١٣ . ومما هو جدير بالملاحظة أن الأعداد المستعملة في غرب العالم الإسلامى أقرب إلى تلك المستعملة في أوروبا من هذه التي نجدها في شرقه ، والسبب في ذلك أن القسم الغربى ظل محافظاً زمنياً طويلاً فأخلص للصورة الهندية الأصلية وحافظ عليها وهو يستعملها إلى اليوم ، وهذه الظاهرة تذكركنا بالأبجدية المغربية فهي أقرب إلى الكوفية منها إلى الخط النسخى . وقد عثر أيضاً على مخطوطة شيرازية ترجع إلى القرن العاشر الميلادى يتجلى فيها بوضوح انتقال الأعداد من صورتها الهندية القديمة إلى تلك الصورة التي نجدها مستعملة إلى اليوم في شرق العالم الإسلامى ، وقد نشر العالم « ف . فيبكه » في مصدره السابق الذكر ص ٧٥ العمود الرابع صورة لكتابة تلك الأعداد كما وردت في تلك المخطوطة .

ومن سوء الحظ أن أهل أوربا استعملوا النظام العشري العددي ، وذلك بسبب عدد أصابع اليدين ، وقد كان أفضل لو استعمل الغرب النظام الاثني عشري لقابليته العظيمة للتجزئة ، وبسبب الدور الهام الذي يلعبه العدد ثلاثة في الصيغ الرياضية ، ولو قدر للغرب استعمال هذا النظام العددي لتقدمت الحركة الثقافية تقدماً عظيماً .

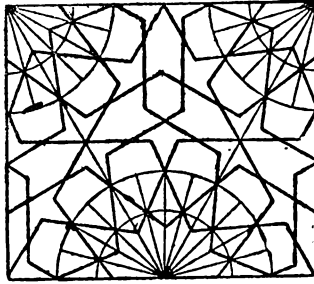
ومن بين شعوب الأرض لا يوجد شعب يحق له أن يفخر لاستعمال هذا النظام إلا الشعب الأفوسى الذى يقطن شمال الجزء الجنوبي من « بنو » (٥٧) أما الأوربيون ، وسبقهم الفرنسيون (منذ عام ١٧٩٩) فيستخدمون هذا النظام الرجعى وقد ضحى الغرب بالنظام الاثني عشري واستخدم العشري الناقص وتدل الآثار التى عثر عليها حديثاً على أن تيارات شديدة قامت ضد النظام العشري قبل التاريخ إذ استخدم البابليون النظام المعروف بالنظام الستينى (٥٨) وهذا يتضح لنا من العددين ٦٠ و ١٢ والتعبير الألمانى (شوك) أى ستين وكذلك (جروسهندرت) أى ١٢٠ وهما جراً .

ومما يؤسف له حقاً أن التأثير البابلى لم يتغلغل فى الأنظمة الرياضية التى وصلتنا .

والآن لننتقل من الجبر إلى الهندسة . اعتادت المدرسة أن تلقن طلابها نظرية فيثاغور ، كما لو أنها أرقى ما وصل إليه التفكير البشرى القديم ، ويقال أيضاً إن فيثاغور قدم مائة ثور قربانا للآلهة شكراً على هذا الإلهام العقلى العظيم ، لكن منذ ربع قرن تقريباً أثبت (برك) فى بحثه عن (إپشتمبا سلبا سوترا) (٥٩) أن نظرية (كنتور) القائلة بوجود أثر للرياضة الاسكندرانية فى الهند لا تقوم على دعائم قوية ، وأثبت (برك) أيضاً أن رأى فيثاغور كان معروفاً فى الهند فى عصر لا يمكن أن يكون أحدث من القرن الثامن ق . م . وأصبح الآن من الثابت أن تعاليم فيثاغور تعتمد على أصول شرقية فنظرية الحلول مثلاً هندية الأصل وليست مصرية حيث توجد عقيدة الـ « كا » أى القرينة . ولم تؤثر تعاليم فلسفية فى القرن التاسع عشر

كما أثرت تعاليم شوبنهور حول الإرادة وهذه الآراء هندية الأصل وهي المعروفة باسم تعاليم « حول العطش » ، وبينما الإرادة عند شوبنهور داخلة في عالم ما وراء الطبيعة إذ بها في البوذية قاصرة على العالم المنظور .

بعد أن رأينا أن عنصرين هامين من عناصر ثقافتنا وهما الأبجدية والعدد منحتان من منح الشرق ننتقل الآن إلى موضوع آخر نبتين منه مقدار مساهمة الشرق والغرب في الاكتشافات والاختراعات التي أثرت وتؤثر في عادات وتقاليد البشر بل في تطور الانسانية عامة خاصة في القرون الأخيرة .



نحيا في عصر أصدق تسمية تطلق عليه هي (العالمية) ويشعر أبناء هذا العصر أن رسالتهم الأولى والوحيدة هي تهذيب الجنس البشري والأخذ بيده كأسرة واحدة إلى مدارج التقدم والرقى . أما المدرسة الكلاسيكية فلا ضرورة لها ولا حاجة إليها في عصرنا هذا وذلك لأن العلوم العقلية لن تهبط من السحب بل لا بد لها من أسس واقعية ثابتة عاونت على إيجادها وتدعيمها موجات ثقافية أجنبية وجدت طريقها إلى أوروبا عقب اختراع الآلة المعروفة بالبوصلية والتي عليها تعتمد السفن الملاحية التي تمخر عباب المحيطات . وجرت العادة أن الطلبة يلقنون في المدارس أن مخترع هذه الآلة هو الإيطالي « فلافيو جيوييا » والذي يقال عنه إنه عاش في القرن الرابع عشر الميلادي ، والواقع غير هذا فأوروبا عرفت البوصلة منذ القرن الثاني عشر وسبقت أوروبا الصين التي استخدمتها في عصر لن يكون أحدث من القرن العاشر، وإن كانت مصادر أخرى ترجع معرفة الصينيين للبوصلة إلى عصور أقدم إلا أن هذه المراجع ليست موضع ثقة كذلك الحال مع المصدر المنسوب للعالم المراكشي ابن العذاري والذي ألف في القرن الرابع عشر فإنه يرجع البوصلة إلى القرن التاسع، وفي الخطاب المفتوح المشهور للعالم « كلبروت » إلى اسكندر فون همبولدت عن اختراع البوصلة (٦٠) نقرأ أخباراً كثيرة هامة عن هذه الآلة ، وأضاف إليها العالم « هرت » الشيء الكثير ، أما أكل مجموعة للنصوص العربية فهي تلك التي جمعها « ايلهرذ فيدمان (٦١) ، فمن الثابت أن البحارة في الشرق استخدموا في أول عهدهم بالملاحة سمكا مجوفاً مصنوعاً من الحديد المغنطس وكانوا يضعون السمكة في طبق يطفو على وجه الماء ويتجهه إتجاهاً جنوبياً شمالياً ،

وهناك مصادر فارسية وأخرى عربية ترجع هذه السمكة إلى القرن الثالث عشر، وقبل اختراع البوصلة استخدم البحارة أيضاً الغراب الذي كان يطير ويرشد الملاحين إلى اليابسة، واستخدام الطائر لهذه الغاية له سابقة في قصة الطوفان كما نقرأ عنه أحياناً في المصادر الهندية واليابانية (٦٢) والنورماندية (٦٣)، ويحدثنا التاريخ أيضاً أن الصينيين عرفوا اتجاه البوصلة قبل عصر كولمبوس بزمن طويل ويرجح أن ذلك كان في القرن الحادى عشر، ويجوز أنه كان في القرن الثامن أو قبل ذلك (٦٤)



والمواد

المفرقة لم تغير مجرى الحرب فحسب بل عاوت على القيام بالكثير من الأعمال والمشاريع العمرانية العظيمة كشق الطرق بين الجبال وما أشبهها ، والفكرة القديمة التي كانت سائدة هي أن اليونان والرومان هم الذين توصلوا إلى اختراع هذا المسحوق وهذه فكرة خاطئة أدت إلى الوقوع في كثير من الأخطاء ، والواقع أن سائر المواد الملتهبة التي استخدمت في الحروب قديماً ومن بينها النار الاغريقية (٦٥) لا علاقة لها البتة بالمواد المفرقة وما هي إلا هذه المواد المتصلة بالنفط . وفي جيوش الخلفاء العباسيين نقرأ كثيراً عن فرق النفاطين التي كانت تقوم بأدوار هامة في الحروب خاصة عند الحصار ، إذ كانت تسهل مهمة الاستيلاء على المدن بعد حرق بيوتها الخشبية هكذا حدث عند الاستيلاء على تفليس عام ٢٣٨ هـ / ٨٥٢ - ٨٥٣ م فصاحب (آثار البلاد وأخبار العباد) وابن الأثير واليعقوبي وغيرهم يذكرون لنا كثيراً من أعمال النفط والنفاطين في الفتوحات الإسلامية . ومن قبل سقوط تفليس سقطت أيضاً هرقة وحصنها عام ١٩٠ هـ أيام هرون الرشيد ، وقد خلد أعمال فرقة النفاطين الإسلامية الشاعر المكي بقوله :

هوت هرقة لما أن رأت عجباً جوائماً ترمى بالنفط والنار

كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات على أرسان قصار

والشاعر الفارسي سعدى ذكر الشيء الكثير عن النفاطين وأعمالهم في مؤلفاته

الخالدة .

أما سبب الإضطراب الذي وقع فيه كثيرون من العلماء حول هذه المواد المفرقة

ومخترها فهذه الوثيقة التي تشتمل على مسحوق ملح البارود والكبريت والفحم والتي يقال إن صاحبها هو (مرقس جريكوس) الذي يظن أنه عاش في القرن التاسع الميلادي، لكن أثبت العلماء أن (مرقس) هذا كان من أبناء القرن الثالث عشر وأنه اهتدى إلى هذا المركب حوالي عام ١٢٥٠ م وتحت التأثير العربي (٦٦).

ومن الأخطاء الأخرى التي ارتكبت قديماً أيضاً القول إن الراهب (برتولد شفرز) هو صاحب البوصلة مثله مثل (فلافيو جيوييا) والواقع أن حتى تاريخية هاتين الشخصيتين غير ثابتة إلى جانب أن البوصلة كانت معروفة للعالم قبل العصر الذي ينسب إليه الإثنان. والشيء الجدير بالملاحظة هنا أن الذين يحاولون الترويج لمثل هذه الآراء الخاطئة لا يتجنون على الحقيقة فحسب بل على التاريخ أيضاً، فهم يصلون مثلاً بين اختراع المواد المفرقة وبين معجزات القديسة برابرة، فهم يروون أن القديسة اخترعت هذا المسحوق عند هجوم الفندال على إفريقيا واستخدمته هي لأول مرة لذلك أصبحت هذه القديسة شعاراً لفرق المدفعية عند كثير من الأمم حتى يومنا هذا. وقد ظلت فكرة اختراع البارود بعيدة عن عناية العلم والعلماء حتى جاء عام ١٨٩٥ وأصدر (روموكي) كتابه المشهور عن المواد المفرقة وتاريخها (٦٧)، وقد أورد هذا الكتاب العالم (ادموند فون ليهان) بمحاضرة قيمة جداً عام ١٨٩٨ (٦٨) وهو نفس العالم الذي وضع كتابا هاما في تاريخ الكيمياء. وقد توصل العالمان الإخصائيان إلى أن (ثلج الصين) (الآن نترات البوتاسيوم أو ملح البارود) أول ما عرف كان في الصين وفي زمن لا يمكن أن يكون قبل منتصف القرن الثاني عشر، وقد وصلتنا مصادر تحدثنا عن الدفاع المجيد الذي أبلته المدينة الصينية (بيان كنج) (الآن كاي فنج) عاصمة إقليم (هونان) بأسفل (هونج هو) ضد هجوم المغول بقيادة (أوجوتاي) عام ١٢٣٢ م (٦٩) فهنا نجد للمرة الأولى استخدام الصينيين للمواد

المفرقة التي هي عبارة عن أسهم نارية ومواد مهتمة محطمة كانوا يرمون بها العدو إذا ما حوَصر في زاوية لا يمكنه الإفلات منها. ونستطيع أن نتصور هذا النوع من الأسلحة من الرسوم الواردة في الكتب الصينية الخاصة بالنار . وفي القرن الثالث عشر قرأ أخباراً تفيد أن العرب عرفوا نترات البوتاسيوم عن الصين وأطلقوا عليها اسم (تلج الصين) وفي كتاب (حسن الرماح) الذي ألف فيما بين عامي ١٢٧٥ و ١٢٩٥ عن النار والمحفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس (٧٠) قرأ عن تلج الصين كعنصر أساسي في صناعة الأسلحة النارية كما يصف لنا (حسن الرماح) هذا للمرة الأولى الآلة المعروفة الآن باسم طور بيد فيقول عنها (بيضة تخرج وتتحرق) وأردف هذا التعريف بصورة نشرها (روموكي) في كتابه ص ٧١ . كذلك لفظ (مسكيت) فقد أثبت (ده جويه) أنه مشتق من الكلمة العربية (مستق) (٧١) ، وفي أوربا نجد أقدم رسم لمثل هذا النوع من السلاح هو ذلك الوارد في مخطوطة بأ كسفورد ترجع إلى عام ١٣٢٦ (٧٢) وهي للمؤلف (ولترده مليمير)



وأهم

من البوصلة والبارود الطباعة ، وقد كشفت لنا الآثار المصرية أخيراً شيئاً كثيراً عنها وإذا كانت طباعة الكتب من أهم بل أهم حدث ثقافي عرفته الإنسانية فإن الدين الذي تشعر به هذه الإنسانية تجاه هذا الاختراع ينضائل كثيراً جداً إذا علمنا أن فن الطباعة ما كان يبلغ هذا الشأن البعيد في حياتنا الثقافية والاجتماعية لولا وجود عاملين هامين أولهما مادة الكتابة أعنى الورق وثانيهما الأبجدية الصوتية ، هذه الأبجدية التي تتكون تقريباً من أربع وعشرين إشارة نعبر بها عن كل ثروتنا اللغوية . فهذان العاملان الأساسيان اللذان مكنا فن الطباعة من النجاح والتطور ومجراة حياتنا الثقافية ، من نتاج الشرق والعقلية الشرقية كما سنتبين ذلك فيما يلي : فكرة الطباعة ليست فكرة عبقرية جديدة ، وذلك لأن المتقدمين فطنوا إلى هذه الفكرة واستخدموها في الخواتيم . وصك النقود فالبابلون كانوا ، كما نعلم يكتبون على الطين ، وكانوا يستخدمون الطين استخدام رجال الطباعة اليوم الحروف وما إليها لطبع الكتب فالبابلي كان يستطيع طباعة عدة نماذج لنص مكتوب على الطين ، وقد وصلتنا فعلاً أمثلة كثيرة من هذه المطبوعات (٧٣) المختلفة النصوص ، والتي كانت تطبع ببسط طبقة من الطين على النص الأصلي فتطبع ، لكن الطين كإداة للكتابة لا يعاون كثيراً على نشر الطباعة أو الأخذ بيدها . لذلك مات هذا الفن البابلي وظهر في شرق آسيا اختراع جديد أثر في الطباعة تأثيراً كبيراً ، وهذا الاختراع عبارة عن الاهتمام إلى عمل مادة للكتابة جديدة أصح وأحسن مما كان متداولاً في ذلك الوقت . وحتى عام ١٨٧٥ نجد من العلماء أمثال (فاتنباخ) الذي يقول إن العصر الذي اخترع

فيه الورق ما زال إلى اليوم غامضاً ، وكم هي دهشتنا اليوم عندما نقرأ مثل هذه الجملة خاصة بعد أن رفع الحجاب عن الورق وتاريخه وأصبحنا اليوم في حالة تمكننا من الإحاطة به أكثر من أى اختراع قديم آخر .

أما الرق والبردى فيحتاجان في تحضيرهما إلى مجهود عظيم يتطلب نفقات كثيرة بينما في وسط آسيا نجد دوراً للكاتب المدونة على قشور الشجر ، وعثر في جنوب الهند على مخطوطات مكتوبة على سعف النخيل ، وفي الصين على أعواد الغاب كما نصت على ذلك المصادر المتأخرة (٧٤) إذ استخدم الصينيون في بادئ الأمر بشة ومن ثم استعاضوا عنها فيما بعد بالألوان . لكن جميع تلك الوسائل لا تعاون بتاتاً على قيام الطباعة ويرجح المؤلف أن اختراع الصينى (مونغ تين) . المتوفى عام ٢٠٩ ق . م للفرشاة المسماة (بت) والمصنوعة من شعر الفيران والتي يستخدمها الصينى حتى اليوم عوضاً عن القلم يتصل اتصالاً وثيقاً بالاهتداء إلى مادة للكتابة أرق وأطوع من المواد الأخرى التي كانت شائعة حتى ذلك العصر . وقد كان ذلك فعلاً فالمصادر الصينية تحدثنا أن عالماً اهتدى قبل الميلاد إلى صناعة مادة من بقايا الأقمشة الحريرية لكن غلاء هذا القماش جعل المادة المصنوعة منه أقل تداولاً ، لذلك فكر آخرون في الاستعاضة عن الحرير بمواد أخرى أقل ثمناً . وحوالى عام ١٠٠ م استطاع (تساي لن) مدير المصنع الحربى القيصرى عمل عجينة جديدة لصناعة الورق مكونة من قشور الشجر والقنب والخرق البالية وشبك الصيادين ، وقد يصنع الورق أيضاً من مختلف ألياف النباتات بعد تنظيفها وتنقيتها من المواد الغريبة عنها ، ومن ثم توضع في الماء مدة حتى يسهل دقها وجعلها طبقات رقيقة تجفف وتستخدم فيما بعد للكتابة . وهذه الطريقة القديمة لصناعة الورق هي بعينها الطريقة المتبعة عند تحضير اللباد مع مراعاة أن الأخير يستخلص من مواد حيوانية بينما الورق من مواد نباتية ولما كان الوطن

الأصلي لصناعة اللباد هو هذا الصقع الأسيوى الذى تقطنه العناصر البدوية التركية الشرقية رأى جماعة من العلماء أن صناعة الورق فى أول عهدنا تأثرت بصناعة اللباد ولا سيما فالورق كان يحضر أول الأمر من عناصر حيوانية وهى بقايا الحرير . ويقول العالم « ريتشارد أندريه » (٧٥) إن الورق اخترع أكثر من مرة فى أمريكا كما يظهر ذلك من المخطوطات المكسيكية المصورة والتي أعدت فى (مجاوى) كذلك ال (تابا) البولينية . أما أوروبا فتدين للعبرى الصينى (تساى لن) مخترع هذا الورق الذى أخذ ينتشر ويتطور حتى بلغ هذه المرحلة الحالية . ويستحق هذا المخترع الصينى من كل أوربى أن يسجل صورته على كل كتاب تخرجه المطابع لأن هذا العالم أجدر من كثيرين .

وأهم مصدر يحدثنا عن هذا المخترع العظيم تاريخ حياته الوارد فى أخبار ال (هان) المتأخرين الذين عاشوا فى الفترة الواقعة بين عامى ٢٥ — ٢٢٠م وقد قدر القوم وقتذاك قيمة هذا الاختراع فبجلوا صاحبه حياً وميتاً، ففى عام ١٠٥م نجد مجلس الوزراء يصدر أمره بالشكر والثناء على (تساى لن) ، كما تقرر جعل بيت المخترع والحجر الذى استخدمه لدق الورق وطرقه متحفاً عاماً للشعب .

أديبان عر بيان أحدهما عاش فى القرن الحادى عشر وهو الثمالى يذكر فى الصحيفة السادسة والعشرين بعد المائة من كتابه لطائف المعارف (طبع أوربا) : « ومن خصائص سمرقند الكواغيد التى عطلت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأوفق ولا تكون إلا بها وبالصين . ذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند فى سبى سبام زباد بن صالح من اتخذ الكواغيد بها ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لأهل سمرقند فم خيرها والارتفاق بها فى الآفاق » : وثانيتها أحد أبناء القرن الثالث عشر

وهو العالم الرحالة القزويني يسرد في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) في سياق حديثه عن سمرقند أيضاً عبارات تكاد تتفق تماماً مع تلك التي ذكرها الثعالبي، المؤلفان العربيان يذكران معتمدين على بعض المصادر القديمة كيف انتقلت هذه الصناعة من الصين إلى سمرقند، وكيف أن صناعة الورق نمت وازدهرت حتى أصبحت تجارة رأبجة لأهالي تلك المدينة. وتجمع المصادر العربية أيضاً، وتوافقها الوثائق الصينية، على أن زيادا انتصر في يوليو عام ٧٥١م عند نهر طراز على أسراء الأتراك الذين كانوا في عداة دائم، كما هزم زياد أيضاً الجنود الصينيين الذين أرسلهم قيصرهم تحت أمرة قائد كورى لمساعدة الأتراك وأخذ عدداً كبيراً منهم أسرى حرب وأرسلهم إلى سمرقند. ومن حسن الحظ أن الحفائر التي قام بها جماعة من العلماء في أوائل القرن العشرين في تركستان الصينية انتهت إلى العثور على قطع من الورق وضعت تحت تصرف جماعة من كبار العلماء الألمان لفحصها وكتابة التقارير عنها. وقد وفقوا فعلاً واهتدوا إلى المواد الأولية التي صنع منها الورق. وفي عام ١٩٠٠ عثر (م. ١٠. شتين) في صحراء (تكلا مكان) على وثيقتين صينيتين من الورق ترجعان إلى عامي ٧٨٢ و٧٨٧م وفحصهما (فيزنر) بالجمهور ووضع عنهما تقريراً شاملاً (٧٧). وأقدم قطعة ورق يعرفها العالم هي تلك المحفوظة بمتحف (معرفة الشعوب) (فلكور كونده) ببرلين وتاريخها يرجع إلى عام ٣٩٩م وفحصها (ر. كوبرت) بجامعة (روستوك) (٧٨) وتبين له أن بها عشباً صينياً يطلق عليه العلماء اسم (بوميريا نيفيا) وبعض أوراق من شجر التوت وبعض الخرق.

ويحدثنا ابن خلدون أن البرمكي الفضل بن يحيى انتهز فرصة وجوده حاكماً على خراسان وتعرف إلى ورق سمرقند وأدخل صناعته إلى بغداد أيام خلافة هرون الرشيد وكان ذلك في الفترة الواقعة بين عامي ٧٩٤ - ٧٩٥م: وبهذا الصنيع

أدى الفضل أكبر خدمة للإنسانية وذلك لأنه من بغداد أخذت تنتشر مصانع الورق في العالم الإسلامي حتى بلغت إسبانيا . وفي متحف (ريتر) نجد خطابين عربيين تحت رقمي ٩١٧ و ٩١٨ على ورق مصنوع من الخرق البالية ، ويرجع تاريخهما إلى حوالي عام ٨٠٠ م وهذا الورق من صنع بغداد وقد أنتجته مصانع العاصمة العباسية بعد قيام هذه الصناعة بها بسنوات قليلة . وفي الفيوم عثر العلماء على وثائق يتضح منها كيف أخذت صناعة الورق تطارد البردى . ولم يكد ينصف القرن العاشر إلا وكان البردى في طريقه إلى الاختفاء . وفي أوائل القرن الحادي عشر ظهر في أسواق الفسطاط صنف آخر من الورق ذكره « بلينيوس » فقال ما ملخصه إن ورقاً لحفظ البضائع أخذ يحل محل ورق البردى (٧٩) . وقد يكون هذا الورق الذي يشير إليه « بلينيوس » هو بعينه ذلك النوع الذي استخدم في تدوين الوثائق المصرية كما يتبين ذلك من الوثائق التي عثر عليها . وقد أدت كثرة العثور على مخطوطات عربية ، فيما بعد ، إلى معرفة المادة التي كان يصنع منها الورق في تلك العصور ، فقد كان يصنع أحياناً من القطن ولأمر ما ساد الاعتقاد قديماً أن هذا النوع من الورق أقدم من ذلك النوع الذي كان يصنع من الكتان إلا أن أبحاث (فيزتر) المعتمدة على المجهر والتي قام بها في فينا (٨٠) أثبتت أن صناعة الورق في تلك العصور لم تعرف القطن بتاتاً وأيده في رأيه هذا عالم من علماء القرن العاشر وهو ابن أبي يعقوب النديم ، فقد ذكر في الصحيفة الحادية والعشرين من الفهرست : فأما الورق الخراساني فيعمل من الكتان ويقال إنه حدث في أيام بني أمية ، وقيل في الدولة العباسية ، وقيل إنه قديم العمل ، وقيل إنه حديث ، وقيل أن صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني : وتوصل (فيزتر) أيضاً إلى إثبات أن عملية لصق الورق بالمواد النشوية المنتشرة حتى يومنا هذا في أوروبا كانت معروفة أيضاً عند الصينيين والعرب .

وفي القرن الثاني عشر انتقلت صناعة الورق عن العرب إلى الرومانيين ،
وفي الرابع عشر إلى ألمانيا ولكي نتبين مدى الأثر البعيد الذي تركه هذا الإختراع
وصناعته يكفي هنا أن نشير إلى مقدار المفردات التي دخلت اللغات الأوروبية والتي
تتصل بالورق وصناعته اتصالاً كبيراً . فالعبارات الدالة على المقاييس الورقية مثل
(بوخ) و (ريز) عمرية الأصل فلفظ (ريز) هو العربي (رزمه) بمعنى ما شد
في ثوب واحد ومن ثم انتقلت إلى الأسبانية حيث نجد (رزمه) وإلى الإيطالية
(رزمه) والفرنسية (رام) والإنجليزية (ريم) وللتعبير عن (بوخ باير) يقول
الفرنسي (مان ده باير) والروسي (ديست بوماجي) وللفظ (دست) ما هو إلا اللفظ
الفارسي الدال على (يد) وهو يستخدم في العربية أيضاً ويطلق على كم من شيء
مسطح مثل الخبز (٨١) . أما فيما يتعلق بمادة الورق فقد استعارت أوربا اللفظة
المصرية القديمة التي استخدمت منذ آلاف السنين للدلالة على المادة المستخدمة للكتابة
للتعبير عن المادة الجديدة وذلك لأن التسمية القديمة تحمل عنصر النباتية الذي كان
يستخدم للكتابة ، وهو عنصر مشترك بين القديم والحديث كاستخدام الألمان لفظ
(فيدر) أي (ريشة) للدلالة على آلة الكتابة الحديثة المصنوعة من الصلب .

واستتبع اختراع الورق في شرق آسيا ظهور أشياء كثيرة إلى الوجود لم تعرفها
أوربا إلا في العصور المتأخرة في وقت احياء العلوم وعصر الروكوكو ، ففي ذلك الوقت
فقط فكرت أوربا في تغطية الحيطان بالورق ، كما استخدمته في صناعة المصابيح وعمل
اللعب الطائرة (٨٢) وكذلك في النقود وما إليها خاصة في الطباعة .

وكما أن الوطن الأصلي للورق هو الشرق كذلك الطباعة إلا أنه مما يؤسف
له أننا لا نستطيع تتبع تاريخ فن الطباعة في الصين ، وهذا بسبب عدم اهتمام كثير من
العلماء الأوربيين بالدراسات الصينية رغماً من أن كل شخص نالت في العالم صيني

وأن لهذا الشعب الصيني أدبه الرفيع العريق كما أنه سبق أوروبا في كثير من ضروب
الفنون . ومستقبله الاقتصادي يبشر بتطور عظيم ، ولعل السر في قلة عدد المشتغلين
بالعلوم الصينية انصراف الجامعات الألمانية عن هذا النوع من الدراسات في الوقت
الذي فيه تغزى بعض المدارس الطلاب بالحروب السمنية والسينية والمسيانية كما لو أن
هذه الحروب وتلك الدراسات هي العمود الفقري للأحداث التاريخية العالمية . ومن
الجدير بالذكر هنا أن جماعات (الداياك) ببورنيو (٨٣) استعاضت عن الملابس
بالوشم وذلك بجهر النماذج التي يراد وشمها على الخشب وصب لون من الألوان عليها ،
ومن ثم يطبع الجسد بالرسم المطلوب ، وتبدأ بعد ذلك عملية الوشم . ومما يؤسف له حقاً
أن العلماء لا يستطيعون تأريخ هذا النوع من الطباعة ، وقد عثر على بعض الأقمشة
المصرية المطبوعة والتي ترجع إلى القرن السادس الميلادي ، ولعل أقدمها هي تلك التي
وجدت في قبر القديس « قيصر يوس » ويرجح أنها مصرية الأصل (٨٤) وهي
محافظة في المتحف الألماني بنورنبرج (٨٥) ، ويملك هذا المتحف الألماني أيضاً
مجموعة أخرى من الأقمشة المطبوعة والتي ترجع إلى القرنين السادس والسابع ، وقد
عثر عليها الدكتور (فرر) في حفائه بأخميم بمصر العليا كما عثر هناك أيضاً على
أنموذجين لطباعة القماش ، وفي مؤلف الدكتور (فرر) عن فن طباعة القماش الذي
نشره بمدينة ستراسبورج — الزاس عام ١٨٩٨ تجدد في اللوحة الثالثة رقم ١ صورة
قد تمثل بدء قيام هذا النوع من الطباعة في أوروبا ، وهذه القطعة ترجع كما يرجع
المؤلف إلى العصر الكاروليني . وفي القرون التالية أخذت أوروبا خاصة ألمانيا توجه
عناية كبرى إلى الطباعة خاصة هذا النوع المتصل بالأقمشة (٨٦) . أما الانتقال من
طباعة الأقمشة إلى طباعة الورق فيمثله هذا التطور الفني الذي نجده عند سكان
بولينزيا فهؤلاء يجمعون قشر شجر التوت ويطرقونه حتى يضير شديهاً بالورق ، ومن



نسيج من الحرير . بغداد . أواخر القرن العاشر أو أوائل الحادي عشر



نمط من الحرير من نسيج وايم موريس سنة ١٨٨٤

ثم يطبعونه ويتخذونه لباساً ، ومما يؤسف له أيضاً أن العلماء لا يستطيعون تتبع تطور هذا الفن وتاريخه .

أما طباعة الورق عند الصينيين فكانت نتيجة طبيعية لاختراعهم له فالتاريخ يحدثنا أن العادة جرت عام ١٧٥م أن تعرض مؤلفات كُتَّاب الصين خارج بناء الجامعة ، وكانت تؤخذ منها نماذج عند الحاجة . وفي نهاية القرن السادس الميلادي ظهرت في الصين لوحات خشبية للطباعة وذلك لأن مؤسس أسرة (سوي) أمر بحفر بقايا مؤلفات كبار علماء الصين على الخشب ، ومن ثم أخذ ينتشر هذا النوع من الطباعة في الصين وخارجها . وفيما يتصل ببدء طباعة الكتب في اليابان فقد عرض له العالم ساتو (٨٧) ومن هذا العرض يخرج جورج يعقوب بأن القيصرية (سهو توكو) أهدت عام ٧٦٤ المعابد البوذية والأديرة ألف ألف تمثال خشبي صغير يشتمل كل واحد منها على فصل من الكتاب البوذي (فيما لا زربها سا سوترا) ولم يكده يأتي عام ٧٧٠ م إلا وكانت هذه الهدايا قد وصلت إلى أما كتبها المطلوبة . وقد عثر على عدد من هذه التماثيل في دير (هوريو) الموجود في (ياماتو) . وبداخل كل واحد منها نص سنسكريتي بخط صيني مكتوب على شريط طويل . أما تقليد الكتابة فيوجد فقط في المخطوطات اليابانية (٨٨) وقد أرادت الحكومة اليابانية عرض أصول أقدم كتب مطبوعة في العالم بليبزج إلا أن حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ أودت بها . وتوجد أيضاً بعض لوحات طباعة صينية ترجع إلى عام ٨١٦ ، وهي من الممدن (٨٩) ويذكر عالم الصينيات (هرت) أنه عرض عليه كتاب للبيع يرجع تاريخه إلى عام ١٠٥٤ وهو مطبوع على لوح ويشتمل على شعر شاعر من أسرة (سونج) وبه صورة للمؤلف محفورة في الخشب (٩٠) ومن حسن الحظ أنه عثر في السنوات الأخيرة على كثير من المطبوعات الآسيوية الشرقية .

ويذكر الجغرافي (ريتر) أن طباعة الكتب في أديرة قبائل اللاما قديمة جداً (٩١) إلا أنه من الصعب تأريخ هذا الفن في بلاد التبت ، وذلك لأن العلماء يجادلون أسماء أولئك الطباعين أو الذين شملوهم بعظفهم وعنايتهم ويذكر جورج يعقوب معتمداً على (ب. لوفر) في خطابه بتاريخ ١٨ يولييه ١٩٠٢ والذي أرسله إليه من بيكين أن تاريخ أقدم كتاب مطبوع في التبت هو عام ١٠٦٩ وهذا الكتاب هو مخطوطة لأسرة (لياوختيان) محفوظة بمعبد (تاشيشو) (الواقع على بعد ٢٣ ميلاً من شمال غربي بيكين) وقد قيل أن رجلاً يدعى (تنج تسنج كوري) تبرع بكل ثروته لطبع ٥٧٩ مجلداً من كتب التبت الدينية وإهدائها إلى المعبد السابق لكن مما يؤسف له أنه لم يذكر شيء عن اسم محتويات هذه الكتب وإن كان يكاد يرجح أن الطباعة عرفت في التبت في القرن التاسع الميلادي . كما يفهم من الكتاب الذي ترجمه (كوت) عن تاريخ البوذية في بلاد المغول (٩٢) أن الطبعة الأولى لكتابي التبت العظيمين وهما (كندشور وتندشور) تمت أيام الملك المغولي (بويانتوخان) الذي حكم من ١٣١١ - ١٣١٩ وفي هذين المؤلفين العظيمين نقراً خبيراً عن رجل متدين هاجر إلى بلاد المغول وصار قسيساً للقرايين ، ومن ثم أرسل المواد اللازمة لطبع الكتابين ، كما أرسل أيضاً مادة صينية سوداء ، وما فعل ذلك إلا إرضاء للاما . ومن بين هذه المواد التي أرسلها كانت لوحات للطباعة استخدمت لطبع الكتابين وعمل نماذج منهما . وقد كشفت الحفائر الألمانية في تركستان عن لوحات خشبية أوجرية للطباعة يرجح أنها ترجع إلى القرنين التاسع أو العاشر وقد نشر (ن . ف . ك . ملر) لوحا في (أوجوريكاج ٢) (٩٣) وفي عام ١٣٣٠ م طبعت ألف نسخة أوجرية من كتاب سوترا عن الدب الأكبر (٩٤) . ومما أثار دهشة العالم المتمددين أنه عثر في الفيوم على ثلاثين لوح طباعة عربي يرجع تاريخ الكثير من أواحها إلى القرن العاشر الميلادي

بينما يرجح أن اثنين من بينها قد يرجعان إلى التاسع (٩٥) وذكر (كارابشيك) في الدليل ص ٢٤٧ ما ترجمته : وفيما يتصل بالحجم وطبيعة الطباعة فيكاد يتفق تماماً مع الحجم الصيني والطريقة الصينية : إلا أنه يذهب بعيداً ويقول : إن مجموعتنا تمتاز بأنها تشتمل على أقدم المطبوعات التي عرفها العالم حتى ذلك الوقت : وقد أخطأ (كارابشيك) عندما ذكر هذه الجملة إذ توجد مطبوعات يابانية أقدم من هذه التي أشار إليها . أما الوثائق العربية المطبوعة والمحفوظة في فيينا فتظهر فيها أحياناً حروف سوداء على قاعدة بيضاء أو بيضاء على قاعدة سوداء . أما الوثيقة المحفوظة تحت رقم ٩٢٩ فإنها مطبوعة بلون أحمر . وإلى جانب اللوحات العربية وجدت أيضاً لوحة قبطية محفوظة تحت رقم ٩٤١ . ومن ناحية المحتويات فلا قيمة لهذه الوثائق كما أن بعض آي القرآن الكريم التي نشر (كارابشيك) صورتها في الدليل ص ٢٤٨ لا تدل على مجهود كبير للمسلمين في هذه الناحية .

وموقف العلماء من الطباعة يختلف عنه مع الورق ، إذ بينما كشف العلم لنا تاريخ الورق وتطوره ترك العلماء في حيرة أحياناً أمام الطباعة وتأريخ وجودها ، لكن ليس معنى هذا أن فكرة الطباعة أمحت أو كادت في بعض العصور التي يكاد يقال عنها إنها أهملت هذا الفن وتركته بدليل ما وصلنا من معلومات عن الشرق في مختلف عصوره والكتب العربية غنية بمثل هذه الإشارات الدالة على وجود الطباعة والاهتمام بها فالعالم (كارابشيك) معتمداً على كتاب الروضتين لأبي شامة يذكر أن نور الدين اضطر عام ١١٤٧ م بسبب الحرب الصليبية الثانية وبسبب الضيق الذي حل بالبلاد أن يصدر في شمال سوريا نقوداً من الورق من فئة الدينار ، وما كان مثل هذا المشروع يتحقق لو لم توجد في ذلك العصر لوحات للطباعة (٩٦) . وفي عام ١٢٩٣ م أسست في تبريز مطابع لطباعة نقود من الورق على نمط المطابع الصينية (٩٧) وهكذا

يحدثنا المؤرخ الفارسي رشيد الدين عن فن الطباعة الصيني الأصل (٩٨)، ومن وصفه لهذا الفن وحديثه عنه يتضح لنا أن الصين كانت تطبع من الكتاب أو الوثيقة عدداً خاصاً ثم تحتفظ باللوحة أو اللوحات للرجوع إليها عند الحاجة ، وقد جرت العادة أن الشخص الذي كان يريد نسخة من كتاب ما كان يتوجه إلى دار الكتب ويدفع الثمن المطلوب وتطبع له النسخة المطلوبة . ويميل جماعة من العلماء إلى الاعتقاد بأن طريقة الطباعة المعروفة الآن باسم النقل على الورق كانت خطوة سابقة للطباعة المعروفة لنا الآن كما أنه يجب ألا ننسى أن طريقة الطباعة الحديثة وتسهيل اقتناء الكتب أجدى وأنفع لنشر الثقافة من الطريقة الصينية القديمة .

والورق الذي كان يصدر إلى أوروبا في العصور الوسطى كان غالباً ، وذلك بسبب المواصلات ووعورتها واستمر الحال كذلك حتى أخذت أوروبا تعنى بصناعته وإنتاجه ، كما اهتمت به ألمانيا في القرن الرابع عشر اهتماماً عظيماً وساهمت في سبيل نشر صناعته وتقدمها ، وقد مهدت تلك النهضة إلى قيام الطباعة في أوروبا كما حدث عند الصينيين والعرب من قبل (٩٩) .

ومن حسن الحظ أن العلماء عثروا على لوحات خشبية صينية محفورة ترجع إلى عام ١٣٣١ وقد نشرها « أوسكار منستربرج » (١٠٠) . وهذه اللوحات الصينية أقدم بما يقرب من قرن من تلك التي عثر عليها في أوروبا ، إذ يرجع تاريخ أقدم لوحة منها إلى عام ١٤٢٣ كما يعتقد ، « كريستلر » (١٠١) . أما الرأي القائل بأن ألمانيا كان مقياً ببولونيا عام ١٣٩٥ وكان خبيراً بصناعة الحفر على الخشب فما زال مفتقراً إلى إثبات .

أما الفكرة التي نقلت الطباعة من استخدام الألواح إلى الاستعانة بالحروف المتحركة التي تتكون من ٢٤ حرفاً وهي الحروف التي تتكون منها الأبجدية فليست

فكرة في حاجة إلى عبقرية أو ذكاء خارق بخلاف فكرة الطباعة ذاتها كما أنه ليس من السهل البت في النزاع القائم حول الطباعة على الألواح والطباعة على الحروف المتحركة وأى النوعين أسبق (١٠٢) أو اعتبار النماذج « الشابلونات » التي تستخدم معها الفرشاة أو سائر الوسائل الأخرى التي استخدمها العالم القديم خطوات معهدة لاخترع فن الطباعة كما نعرفه الآن (١٠٣) وقد تغضب هذه الحقيقة كثيرين ممن يتشدقون بألمانيا والدور الهام الذي قامت به في الطباعة ، وقد ذكر « هرمن ديلز » أن التقدم والتدرج إلى الحروف المتحركة كان في استطاعة كل عين قديمة إدراك قبح طباعة الحروف (١٠٤) والواقع أن العالم القديم « اليونان والرومان » كان متأخراً جداً في فن الكتب وكان الفرق بينه وبين العصور الوسطى سواء في الشرق أو الغرب بعيداً جداً فنحن نعلم أن رجل العصور الوسطى سما بتنظيم الأشكال وصورة الكتابة سموماً عظيماً بينما الخط اليوناني القديم احتفظ بصورته القبيحة التي لا تقارن بالخطين الصيني أو العربي ، ويرى جورج يعقوب أنه كان من السهل لو صبت الحروف المتحركة من نماذج تختار من أحسن وأجمل مخطوطات العصور الوسطى حيث العناية بالخط كانت عظيمة ، وبذلك نستطيع إدخال الفن والجمال في الطباعة ولا يجد أمثال « ديلز » حجة عندما يحاول الدفاع عن اليونانيين ويقول إن الذي منعهم من اختراع الطباعة هو حبهم للجمال الذي يتجلى في كتابة المخطوطات ، وتتجرد منه المطبوعات لكن ألم يكن الأجدر باليونانيين أن يفكروا فيما فكر فيه جورج يعقوب ؟ لكن وقد عجز التفكير اليوناني عن الاهتمام إلى شيء من هذا فهو لا يستحق من العالم التمجيد والتخليد ، كما سجل على نفسه شيئاً كثيراً من التقصير نحو الثقافة الإنسانية ، وكان من أثر المبالغة في تقدير التراث اليوناني خاصة في عصر النهضة أن اتجه النشاط العقلي إلى تقليد الآثار الفنية الميته تقليداً قسرياً أو كاد على كل محاولة للاهتمام بالآثار

الفنية الحية ، فقد نظر الفنان إلى الأعمدة اليونانية القائمة كمثل أعلى للجمال وهذه النظرة أثرها السيء في حياة الفن وتطوره . ومهما يكن الأمر فالشرطان الأساسيان اقيام الطباعة الحالية هما الأبجدية الصوتية والورق وكلاهما ليسا من عمل العقلية اليونانية وكل فرد يجد من وقته ما يسمح له بدراسة ما وصل إليه « جوتنبرج » بعد كفاح عظيم من الناحيتين الصناعية والفنية يدرك تمام الإدراك مقدار الجهود الألمانية الجبار الذى بذل في سبيل ربط اسم ألمانيا باسم أكبر حادث حدث في سبيل الثقافة ونشرها . وهذا الفرد بعينه الذى يهتدى إلى مثل هذه النتيجة يؤلم أمثال « بون هازن » الذين لا يحلو لهم إلا إرجاع كل شيء إلى اليونان ونسبة كل ثمرة من ثمار العلوم الحالية إلى العقلية اليونانية . لكن فات هؤلاء أننا إذا نسبنا إلى عطاء أشياء ليست لهم وكللنا رؤوسهم بأكاليل غار مزيفة أسأنا إليهم وقلنا من كرامتهم فالألماني (جوتنبرج) مثلاً قد سبقه كثيرون مثل الهولندى (كوستر) وطبع بحروف متحركة (١٠٥) ولو أنه استخدم نماذج رملية لا تصلح للطبع إلا مرة واحدة ، ونفس هذه الطريقة هى التى استخدمها (جوتنبرج) في أول الأمر ، ومن ثم تغلب على النقص الموجود بها ووصل بها إلى ما وصل إليه .

ومن الخطأ أن نعتبر هذا النوع من الكتب الذى حاولت أوربا إنتاجه في أول عهدها بهذا النوع من الفنون خطوة أولى في طباعة الكتب ، وذلك لأن العالم (زدلى) مثلاً يعتقد أن فن صناعة تلك الكتب متأخر جداً عن الطباعة بالحروف المتحركة ، إذ أن عمل تلك الكتب كان يتم عن طريق ألواح للطباعة عبارة عن ورق لعب وقطع خشبية محفورة ، وكان النص يكتب باليد . كذلك من الخطوات الممهدة لظهور الحروف المتحركة في الطباعة والتى تعتبر بحق سابقة لفن (جوتنبرج) (١٠٦) استخدام الحروف المفردة في اختصار الأسماء ولعل أول من استخدمها هو الدومينيكي

(كونراد فورستر) من سكان نورنبرج فقد استخدم طريقته هذه عند تجليد الكتب في الفترة الواقعة بين ١٤٣٧ - ١٤٥٧ وقد وصلتنا من آثاره بعض النماذج المحفوظة في ليزج ونورنبرج وفيرزبرج (١٠٧). وتذكر المصادر الصينية أن أول طابع بالحروف المتحركة التي كانت تصنع من الفخار هو الحداد (بي شنج) (Pi Schog) وكان ذلك فيما بين عامي ١٠٤١ - ١٠٤٩ م (١٠٨) وكان العالم الغربي يجهل حتى زمن قريب كيف انتقل هذا الفن من الشرق إلى الغرب إلا أنه عثر أخيراً في شرق آسيا على كتب مطبوعة بواسطة الحروف المتحركة وهذه الكتب أقدم بكثير من العصر الذي عاش فيه (جوتنبرج) إذ أن أقدم كتاب من تلك المجموعة التي عثر عليها يرجع تاريخه حسب تقدير العالم (ساتو) إلى ما بين عامي ١٣١٧ - ١٣٢٤ م إلا أنه من الصعب أن نصدر حكماً قاطعاً في وطن الكتاب إذ أنه قد يكون كورياً وقد يكون صينياً (١٠٩). أما الكتب الكورية الأخرى المطبوعة على حروف متحركة معدنية فهي كما يقرر نفس العالم أيضاً قدم من (جوتنبرج) وقد ذكر هذا الحكم في ذيل البحث السابق ويتحدث (ساتو) أيضاً عن كتاب من تلك المجموعة الأخيرة يرجع تاريخه إلى عام ١٤٠٩ م جاء في مستلحقه حديثٌ على لسان ملك كوريا يدور حول تاريخ الطباعة بالحروف، فقد جاء أن هذا الملك أظهر عدم ارتياحه لألواح الطباعة الخشبية وأمر بصنع أحرف نحاسية على نفقته ونفقة بلاطه لطبع سائر الآثار الأدبية والمحافظة عليها من الزوال، ويختم الملك حديثه بأحسن الرغبات وأحر عبارات الدعاء وأن يبارك المشروع ويبارك مستقبله وكان ذلك في تاريخ يقع بين ١٤ ديسمبر ١٤٠٣ و١٢ يناير ١٤٠٤ م

لكن بالرغم من كل تلك العوامل لم تستطع الطباعة الصينية أن تتقدم وذلك لأن صب الكلمات الصينية يحتاج إلى كميات كبيرة جداً من الأشكال أولاً والمعدن ثانياً

فهى كما يقرر نفس العالم أيضاً أقدم من (جوتنبرج) وقد ذكر هذا الحكم فى ذيل البحث السابق (١١٠) ويتحدث (ساتو) أيضاً عن كتاب من تلك المجموعة الأخيرة يرجع تاريخه إلى عام ١٤٠٩ م جاء فى مستلحقه حديث على لسان ملك كوريا يدور حول تاريخ الطباعة بالحروف فقد جاء أن هذا الملك أظهر عدم ارتياحه لألواح الطباعة الخشبية وأمر بصنع أحرف نحاسية على نفقته ونفقة بلاطه لطبع سائر الآثار الأدبية والمحافظة عليها من الزوال ، ويختم الملك حديثه بأحسن الرغبات وأحر عبارات الدعاء وأن يبارك المشروع ويبارك مستقبله وكان ذلك فى تاريخ يقع بين ١٤ ديسمبر سنة ١٤٠٣ و ١٢ يناير سنة ١٤٠٤ م .

لكن بالرغم من كل تلك العوامل لم تستطع الطباعة الصينية أن تتقدم وذلك لأن صب السكّات الصينية يحتاج إلى كميات كبيرة جداً من الأشكال أولاً والمعدن ثانياً لذلك ظلت الطباعة محدودة ومستعملة فى نطاق ضيق جداً حتى أدخلت الأبجدية السامية الصوتية فقفزت الطباعة وظهرت فى الوجود كعنصر من أهم عناصر الثقافة الإنسانية .

هذا قليل من كثير وفى هذا القدر القليل ما يكفى لمعرفة فائدة علم الاستشراق وضرورة العناية به للامام بمعرفة وتاريخ كثير من المخترعات والأشياء التى تغلغت فى حياة الغرب اليومية ، وإذا ذكر الاستشراق هنا فلا يعنى ذلك النوع من الدراسة الجامد الجاف والذى يعنى مثلاً بالوصول إلى معرفة القواعد النحوية التى كانت مستعملة فيما قبل التاريخ والتى لا يمكن أن تخضع للأجرومية المنطقية ، ولا يعنى أيضاً هذا النوع من الاستشراق الذى يحاول معرفة الأجرومية العبرية فى العصور الجليدية فكل هذه الجهود وأمثالها لا تساوى هذا العرق الطاهر الذى يتصبب من جبين العالم المستشرق . وفيما عدا الناحية الصناعية التكنيكية عرض جورج يعقوب عرضاً

سطحياً للناحية الدينية ومن ثم انتقل إلى النواحي الاقتصادية والثقافية والفنية والأدبية
وتوصل إلى كشف العلاقات بين الشرق والغرب تلك العلاقات التي طمست معالمها
هذه المدارسُ التي تمجد القديم وتبالغ في رفع شأن الدراسات الكلاسيكية .



وقد

اهتدى التاريخ إلى معرفة أن البابليين تركوا في حياة العالم الاقتصادية والثقافية أثراً بليغاً فالعلاقة بين قيمة الفضة وقيمة الذهب والقاعدة القديمة لنظام نقود « دارايافوش » ظلت سائدة حتى سقطت قيمة الفضة . وقد أثبت العلامة « هوجو فنكلر » (١١١) أن العلاقة بين الفضة والذهب قائمة على العلاقة بين الشمس والقمر أى ٢٧ « حسب زمن دوران القمر » : ٣٦٠ « = ١ : ١٣١ » . وفى القرن التاسع عشر الميلادى حدث اختلاف بسيط فى هذه النسب القيمة أدى إلى حدوث ضائقة مالية شديدة ولم تستطع القيمة الحقيقية الجديدة أن تتغلب على البابلية القديمة إلا تدريجياً و بعد مجهود شاق . والعملة الورقية التى هزت العالم المالى هزاً عنيفاً من اختراع الصين وقد تتبع تاريخها عالم الصينيات المشهور « كلا بروت » (١١٢) ومن الجدير بالذكر هنا أن الصورة التى يعبر بها فى اللغة الصينية عن هذا الضرب من النقود هى « تشاو » (١١٣) المكونة من الإشارتين الدالتين على « معدن » و « قليل » فالكلمتان تدلان على علة عمل هذا الورق النقدى . ويذكر « فلرز » (١١٤) فيما يتعلق بهذا الورق وصناعته أنه كانت تقطع قطعة الورق وعليها صورة الشريف أو العباسى ويقرأ عليها قسم بعده يصرح بتداولها . وما قيل عن النقود الورقية من حيث وطنها الصينى الأصلى يقال أيضاً عن النقود المعدنية فالعالم « مكس فيبر » يقرر أن الصين عرفت هذا النوع من النقود فى عصر لا يمكن أن يكون متأخراً عن القرن التاسع ق. م. (١١٥) لكن العلامة « جورج يعقوب » يشك فى هذا الرأى وذلك لأن « كنج » أحد العلماء الذين يمكن الاعتماد عليهم والأخذ برأيهم

قام في جامعة « كيل » بألمانيا يبحث النقد الصيني وقدم رسالة في هذا الموضوع نال عليها إجازة الدكتوراه في القانون . وقد توصل في بحثه هذا إلى نتائج قيمة منها أن كثيراً من قطع النقد الصيني التي كان يظن أن لها قيمة تاريخية كبيرة مزيف ، لذلك قد يكون اليونان هم أقدم من أوجد عملة معدنية بدليل أن أقدم نقود فينيقية يظهر عليها الطابع اليوناني . أما أقدم ورقة نقدية صينية وصلت إلى يد العلماء فهي تلك التي تقدم بها الدكتور « إيرنفلد » عام ١٨٨٩ إلى مؤتمر المستشرقين الذي عقد في استكهلم . وقد انتقل هذا الضرب من النقود إلى أوروبا عن طريق المغول كما يظن ، وذلك في أثناء تقدمهم في أوروبا . وقد ظهر في أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩٩ م (١١٦) بحث صغير للعالم « جرسهوف » عن « الحوالات المالية عند العرب » أثبت فيه أن هذه الحوالات المالية لم يعرفها العالم القديم وأول من عرفها هم العرب وعندهم أخذتها أوروبا في القرن العاشر عن طريق إسبانيا وإيطاليا . ومع هذا الاختراع انتقلت أيضاً الكلمات والاصطلاحات اللازمة له ، وهذه المفردات إما فارسية الأصل وإما عربية ، وما زالت متداولة إلى اليوم في اللغات الأوربية إما بصيغها الأصلية وإما مترجمة في اللغات الهندية الأوربية نجد مثلاً التعبير « أفال Aval » وما هو إلا الكلمة العربية « حوالة » ، كذلك لفظ « شيك » فهو شرقي فارسي كثيراً ما ذكره الفردوسي .

الشرق

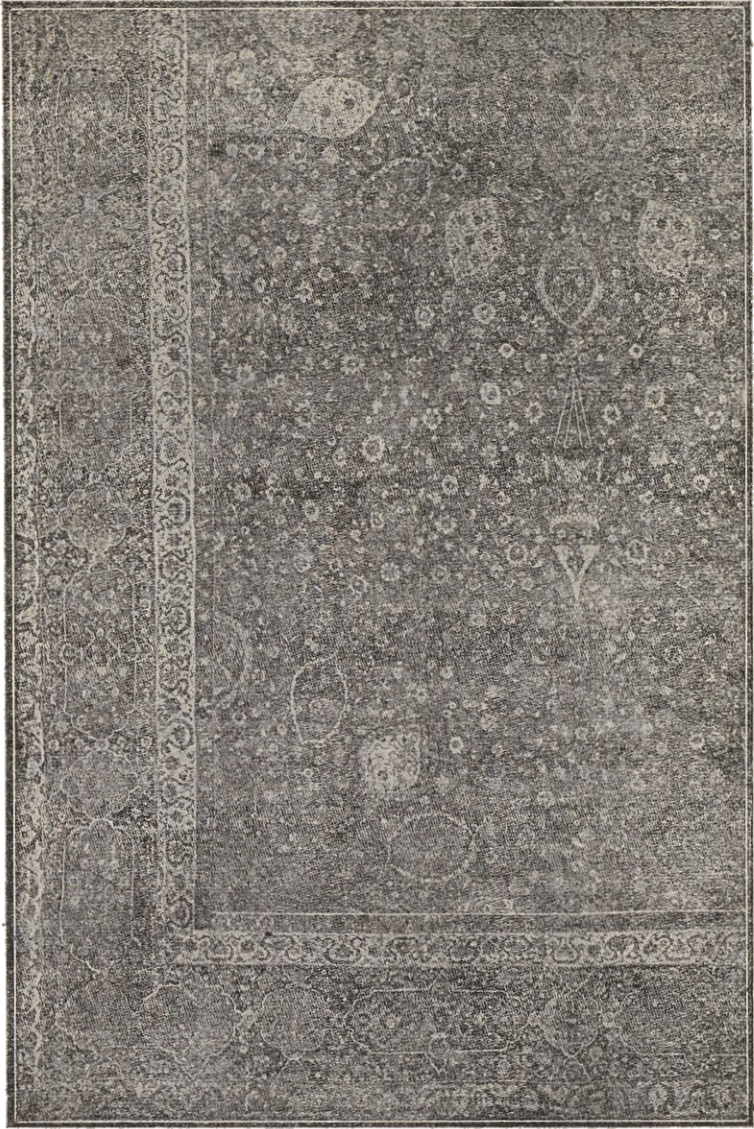
أيضاً هو الذى أوجد أهم وسيلة من وسائل المواصلات وقد تحدث العلامة جورج يعقوب عن (البوصلة) وعن (الحمام الزاجل) والآن يتحدث بشيء من التفصيل عن (العربة) التى تعتبر من أهم وسائل المواصلات قديماً وحديثاً لا فى الغرب فحسب بل فى الشرق أيضاً فقد استخدمت قديماً فى شرق آسيا كوسيلة من وسائل المواصلات والتى تحمل على عجلات ، فقد أثرت كثيراً فى بناء العربة الحالية . والكلمة الصقلبية (دروشكه) نجدها فى البولندية (دروشكا) والروسية (دروشكى) وهى تشير إلى الشرق . كذلك إدخال العرب للجمل فى شمال إفريقيا يعتبر من الأحداث العظيمة ، إذ أنه قام بالدور الذى تقوم به السكك الحديدية اليوم ، وإذا علمنا أن الرومان لم يقدموا على ما أقدم عليه العرب فى هذا الميدان الإفريقي أدركنا عظم الرسالة العربية فى هذه الأقاليم التى أدت إلى ربط أجزاء الدولة العربية أولاً ، وتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية بين إفريقيا وآسيا من ناحية والشرق والغرب من ناحية أخرى ثانياً .

والآن عند دراسة الاقتصاد السياسى ينظر الباحث إلى نظريات « كويسنى » كنظريات أساسية فيزيوكراتية أعنى نظريات تقول بأن الأرض هى المصدر الوحيد الذى عليه تتوقف حالة البلاد الاقتصادية ، وعند شرح هذه النظريات يتجه العلماء عادة إلى الصين ، وقد ذكر « فولتير » — إذا أراد إنسان أن يتتقف فى الأحداث التى تقع على هذه الأرض كفيلسوف يجب عليه أن يتجه إلى الشرق أولاً مهد جميع الفنون ، ويدين له الغرب بكل شيء — وفى السنوات الأخيرة ظهر كتاب

للأستاذ « ريشفين » عنوانه الصين وأوروبا (١١٧) أشار فيه إلى المؤثرات الصينية في أفكار « كويسني » كما وضع أيدينا على الشبه القوي بين الأفكار الصينية والأفكار الكويسنية وكويسني يفضل تلك الآراء الصينية على النظريات اليونانية . وهو يذكّر أن كل العناصر التي أثّرت فيه كوّنت فيما بينها أولاً صورة ثم تلتها ثانية فثالثة وكل هذه العناصر مجتمعة لم تتوفر إلا في الصين (١١٨) . ومن الجدير بالذكر أن « كويسني » لما توفي ودفن ألقى تلميذه « ميرابو » كلمة لها فيها نحو تلميذ « كونفوشيوس » (١١٩) فمن هذا يتبين أن حتى أحدث العلوم ترجع إلى الصين .



الشرق أيضاً أخذ الغرب فنونه الزخرفية أو التطبيقية ، ففي العصور الوسطى استورد الغرب أجود الأقمشة وأبدعها من الشرق ، وحتى يومنا هذا فالسجادة العجمية لا تعدلها سجادة أوربية تقليدية وقد أشار « سوفوس لارسن » في بحثه المنشور بمجموعة الأبحاث التي قدمت لاندرياس إلى انتقال الماذج الساسانية إلى البلاد الاسكنديناوية (١٢٠) كذلك فن صناعة المينا أخذه اليونان والرومان عن المصريين ، أما بقية الدول الأوربية فقد أخذته عن العرب عن طريق إسبانيا (١٢١) . وفيما يتصل بصناعة النسيج والخرف فالصين هي التي قدمت للعالم خير الأنواع وأفضلها أعنى الحرير والصيني . وقد أدى تحريم الإسلام لبس الحرير على الرجال ، لأن في لبسه شيئاً من التبرج المقوت ، وتحريم الأكل في الأواني المصنوعة من المعادن الثمينة إلى ظهور هذا النوع من القماش المصنوع من الحرير المخلوط والذي يطلق عليه بالفارسية « ابريشم » وإلى خلق هذا النوع من الخزف ذي البريق المعدني . وقد حاولت أوروبا تقليد صناعة هذا الخزف فلم توفق حتى يومنا هذا ، وما زالت قطع الخزف ذات البريق المعدني الإسلامية التي صنعت في العصور الوسطى تفوق بكثير تلك التي تصنعها أوروبا في يومنا هذا . ولعل سر إتقان هذه الصناعة يتوقف على مادة الطلاء الداخلة في تركيبها المعدن المطلوب ، وتعريضها لحرارة ضعيفة كافية لأن تخرج غاز الاكسوجين فيظهر المعدن ببريقه المطلوب . وتوجد في جامع عقبة بالقيروان قطع من الخزف ذي البريق المعدني وضعت عام ١٨٩٤ م بأمر ابراهيم بن الأغلب ، وقد جلب معظمها من بغداد كما صنع البعض الآخر ببغدادى كان مقماً بالقيروان ، لذلك يظن أن هذا الفن عراقي الأصل



سجادة ذات وبر من جامع أردبيل فارسية مؤرخة سنة ١٥٤٠ بمتحف فكتوريا والبرت .

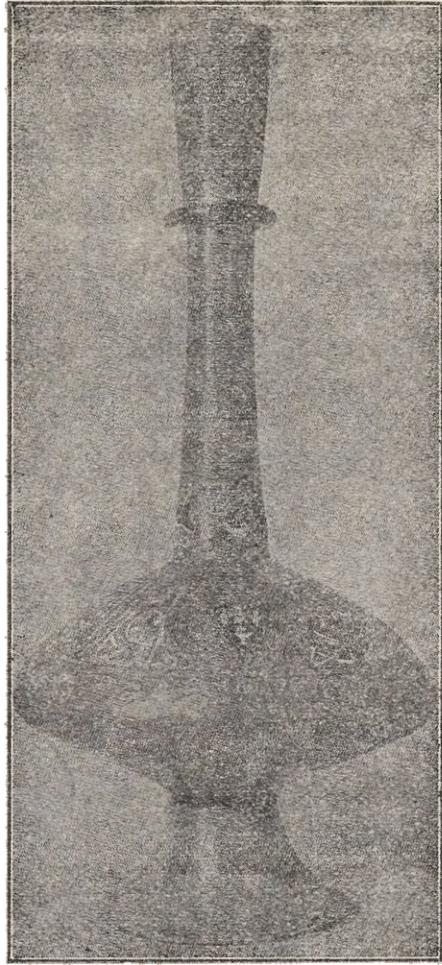
ومن هناك انتقل عن طريق القيروان إلى اسبانيا ، كما أجادت ملقا هذه الصناعة إلى حد بعيد . وفي كثير من المتاحف العالمية مثل « همبرج » نجد كثيراً من هذه القطع ذات البريق المعدني التي تشهد ببراعة الصانع وجودة الصناعة . وعدا الزجاج الخشن والخزف ذي البريق المعدني أجاد الشرق كساء الخشب وتغطية الورق المقوى بطبقة لامعة تتجلى فيها المهارة الفنية النادرة . كذلك صناعة الـ « لك » الموجودة في شرق آسيا ما زالت إلى اليوم معجزة الصناعات خاصة في اليابان التي أخذتها عن الصين في القرن السابع الميلادي ، وعنيت بها . فقليل من الأوربيين من يستطيع مجارة الشرقيين وإجادة هذه الصناعة . وإذا ذكر الـ « لك » ذكرت تلك الكميات الهائلة التي تصدر منه ومن الأواني المصنوعة به إلى أوروبا . فهذه الأواني بالرغم من أنها صنعت للتجارة فقط ولم تراع فيها الدقة الفنية اللازمة إلا أنها ما زالت تبهير أعين الأوربيين . أما الطريقة المتبعة في صناعة القطع الفنية الخاصة فهي دهن القطعة المرة بعد الأخرى مع مراعاة قواعد خاصة ، وذلك بأن تجفف أولاً الطبقة المدهونة جيداً ، ومن ثم تصقل صقلا ناعما مع اتخاذ كل الاحتياطات لمنع وصول التراب إلى الدهان ، وهكذا يوالى وضع طبقات الدهان حتى تنتهي العملية وأحيانا يجلس الصانع وسط المياه ليأمن وصول ذرات التراب إلى قطعه . وغير العناية بالأصباغ نجد الياباني يوجه عناية أخرى لنوع الخشب الذي يستخدمه فأجود نوع يقع عليه اختيار العامل هو ذلك المأخوذ من شجرة السرو اليابانية والتي يطلق عليها في علم النبات « ريتنوسبورا بيسيفرا » وقد يستخدم بعض الأوربيين خشبها للزخرفة . أما الـ « لك » فيستخرج عادة من عصير شجر السماق . ومن ثم يعمل فيه الصباغ مهارته وفنه حتى يكسبه المعان المطلوب كما يلونه بمختلف الألوان ، وذلك بوضع مساحيق فضية أو ذهبية أو غيرها من المساحيق المطاوعة على الخشب أو الجسم المراد دهنه ومن ثم يضع



لوح من تريمات القاشاني المنقوش . دمشق القرن السادس عشر

عليه طبقة الـ «لك» (١٢٢). وفي العالم الاسلامي نجد صناعة الـ «لك» تبلغ شأواً بعيداً خاصة في فارس والهند في القرن السابع عشر حيث نجد أغلفة الكتب وأغطية المرايا في شكل كتاب. وبعض أوراق اللعب الجميلة المعروفة باسم «جندشيف» التي نجدها منشورة في كتاب «ساره» عن تجليد الكتب الإسلامية. «برلين ١٩٢٣» (١٢٣) وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر كثرت الولوج في فرنسا بالصين، ولم يمض زمن طويل حتى انتقلت هذه العدوى إلى سائر الممالك الأوربية وأخذ القوم يهتمون إلى جانب اهتمامهم بالحري والصيني كذلك بالـ «لك» الذي كان يلعب في ذلك العصر دوراً هاماً فأدخلت صناعته إلى فرنسا في القرن السابع عشر ولم يأت منتصف القرن الثامن عشر إلا وكانت قد ازدهرت في فرنسا ازدهاراً عظيماً وأخذت أوربا تستعين بكثير من النماذج الصينية لنقش تحفها وزخرفة دورها وتجميل عربات النقل والعصى وما إليها. وفي عام ١٧٦٣ أسس «شتو بقر» مصنعاً في «برون شويج» لصناعة الـ «لك» اللازم لطلاء وزخرفة علب النشوق التي كانت تعنى مصانع «شتو بقر» بإنتاجها (١٢٤) لكن بالرغم من جميع الجهود التي كرسها أوربا للرقى بهذه الصناعة فما زالت إلى اليوم متخلفة عن تلك التي نجدها في اليابان. أما لفظ «لك» فهندي الأصل ثم انتقل إلى الفرس ومنهم إلى العرب وعن الأخيرين أخذته أوربا (١٢٥).

ويختلف الفن باختلاف المادة الأساسية المعدة له فمثلا الصيني المرن يناسب التعبير عن الفن الروكوكي جيداً، ولو أن هذه الزخرفة الروكوكية قد تكون مستمدة من السحب الصينية، والشئ الجدير بالذكر هنا أن أوربا أخذت هذه القطعة الصينية الفنية ككل لا كجزء، وذلك حسبما كانت تواتها قوتها وبجاريها استعدادها، والذي حدث هو أن أوربا أخذت تقلد الصين أولاً ثم أخذت بعد ذلك توفق بين هذا الفن الصيني وبين الذوق الأوربي وتطوره ولو أن أوربا ظلت تستخدم بعض العناصر



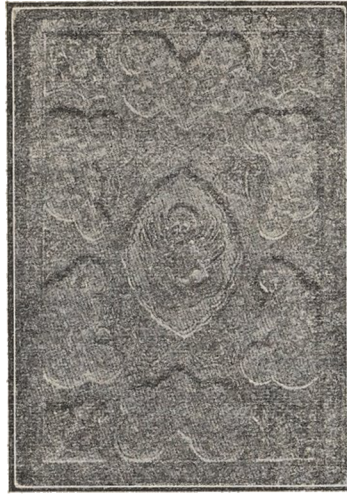
قبتة من الزجاج المموه بالمينا — الشام — القرن الرابع عشر

الصينية في كثير من إنتاجها الفني ، ومع مرور الزمن أخذ الذوق الأوربي يستسيغ هذا العنصر الأجنبي ويعجب به . والشئ المسلم به الآن أن القطع الفخارية المحلاة بالرسوم ومختلف ألوان الدهان « ماجوليكا » (١٢٦) والتي اشتهرت بها مدينة البندقية ، وكذلك صناعة البلاط القيشاني في المدينة الهولندية « دلفت » وتصوير الطبيعة على نوع الزجاج المعروف باسم « جاليه » كلها في الواقع مأخوذة عن فن شرق آسيا .

فاليابان هي التي دفعت الفنون التطبيقية الأوربية إلى التفانى في الطبيعة والمناظر الطبيعية من حيوانية ونباتية ، فساهمت في تخليد الوطن وتقديسه ونجد أثر هذه الظاهرة في البرسلان المحفوظ بمدينة كوبنهاجن ، ويقول العالم « جرول » في كتابه عن فن شرق آسيا وأثره في أوربا (١٢٧) في صدد الحديث عن الفن الياباني وأثره في أوربا ما ملخصه — كل العناصر القوية الموجودة في الفن الأوربي الحديث والتي ترمى إلى غزو الطبيعة واسترجاعها يابانية الأصل كذلك الحال مع الفنون الزخرفية فالعلاقة بينها وبين الفن الياباني قوية جداً . ويتحدث « جرول » في ص ٧١ — ٧٢ من كتابه السالف الذكر عن مصانع البرسلان الدنماركية والسويدية ويقول أنها أخذت عام ١٨٩٨ كثيراً من البرسلان الياباني « مياجاوا كوزان » المعروف باسم « مكدوزو » ويظهر أن الأثر الياباني كان قوياً مفيداً حتى أن عالمين شهيرين هما « بيترو كروهن » و « أرنولد كروج » صرفا زمناً طويلاً في دراسة الفن الياباني حتى أصبحا من كبار مؤرخيه يقرران بوضوح أنه لولا الفن الياباني ما استطاع الفن الدانماركي أو السويدي النهوض تلك النهضة العظيمة التي كفلت له السمواً أولاً والاستقلال ثانياً . لكن قد تقع مصانع البرسلان في أخطاء وأغلاط ما كانت لتخطر على بال أحد ، فمثلاً نموذج البصلة الذي تنتجه مصانع « ميسنر » هو في الواقع خطأ وسوء فهم للرمانة الصينية (١٢٨) كذلك الأواني الفخارية اليابانية ذات الطلاء اللامع الجميل وجدت إلى قلوب الفرنسيين طريقها فبهرت أوربا وسارع الفرنسيون إلى تقليدها (١٢٩) .

وفيما يتعلق بتغليف الكتب فقد برع فيه العالم الإسلامي ونبغ ، وما ساهمت به (هرات) في هذا الفن لا يقاس به أى مجهود آخر في مختلف البلاد والأقطار وما أنتجته (هرات) تعجز أوربا حتى اليوم عن تقليده . ولما أخذ الغرب بهذا الفن في عصر النهضة اكتفى في أول أمره بمحاكاة هذا النوع الإسلامي وهذا يتجلى واضحاً في الأشياء التي وصلتنا عن البندقية و (أوفن) حيث نلمح هذه النماذج الشرقية الإسلامية المأخوذة عن السجاد العجمي لذلك نجحت كل من البندقية و (أوفن) في القيام بدور الوسيط بين الشرق والغرب . ومن الأقاليم الواقعة على البحار الجنوبية حيث جزيرة يافا أخذت أوربا بعض أنواع الفنون الزخرفية خاصة ذلك النوع المعروف باسم (باتيك) .

وحتى هذا العنصر الموجود في الثقافة الأوربية والذي يرجعه العلماء إلى اليونان شرقي الأصل . و بواكير الفن الإسلامي تنطق بأنها مقتبسة من الفن المصرى القديم أوفن الشرق الأدنى . وفي الهلينية نجد المؤثرات الشرقية تطفئ على اليونانية وقد أثبت ذلك العالم (بوخستين) في كتابه الأساطين الأيونية كجزء من البناء الكلاسيكي شرقية الأصل (١٣٠) وفي نفس المصدر يذكر المؤلف أن أهم عناصر فن البناء الهليني مصرية وقد أخذها اليونان عن طريق الشرق الأدنى . وهذه الخطوط المنقوشة ما هي إلا باقات اللوتس وسيقان البردى الموجودة على الأعمدة المصرية القديمة إلا أنه أسىء فهمها (١٣١) وهي صورة تعبر عن بناء المظال ، وإذا كان (بوخستين) يعرض في ص ٢٤ من كتابه الأساطين الأيونية المعتمدة على هذه السيقان الدقيقة ويصفها



غلاف كتاب من صناعة البندقية في القرن السادس عشر



غلاف كتاب ألماني حول سنة ١٥٨٣

بأنها عمل رهيب فجورج يعقوب يقرر أن استخدام التماثيل التي تعبر عن فتيات يحملن كتلا كبيرة من الأحجار أرهب وأقسى ، وأبعد عن الذوق والزخرفة الحلزونية الموجودة على العمدة الأيونية ترجع إلى الزخرفة البرعومية الشرقية التي كانت تعمل في الأصل كإكليب فانتقلت إلى الأحجار اليونانية لكن طبيعة الحجر شوهت هذه الصورة الجميلة وكان مثلها مثل زبد وضع تحت حجر ثقيل . وحتى الزخرفة اليونانية الموجودة على الزهريات في شكل إفريز من الأزهار تعبر عن كثير من العناصر الشرقية كما تبين من الرسوم الواردة في ص ١٨ من كتاب (بوخستين) . وقد أثبت العلامة لهان هوبت (١٣٢) أن الشمعدانات المنتشرة في أوروبا والتي هي تقليد لأخرى اصطلح القوم على تسميتها رومانية إشارة إلى انتقالها من الشرق إلى الغرب أيام الحكم الروماني (١٣٣) ترجع إلى القرن الأول الميلادي كما تظهر من تلك التي عثر عليها (في بومبي) . وما هذه الشمعدانات إلا صورة صادقة لأخرى أشورية . أما الحفر على الأحجار الكريمة فيقول عنه (فورتفجلر) في الصحيفة الأولى من المجلد الثالث من مؤلفه القيم عن الأحجار الكريمة والذي نشره عام ١٩٠٠ ما ملخصه : إن النقش على الأحجار الكريمة فن لا يتحتم وجوده عند كل شعب بلغ مرحلة ثقافية خاصة أو أصبح حظه من الذوق الفني عظيماً وذلك لأنه يكاد يكون من المحزوم به أن فن الحفر على الأحجار الكريمة لم يعرف إلا وطناً واحداً وهو أرض بابل :

ويذكر (بوخستين) في كتابه السالف الذكر أن الأعمدة التي استخدمت كعنصر زخرفي في البناء مصرية الأصل وقد انتقلت حوالي الألف الثاني قبل الميلاد إلى سوريا والشرق الأدنى ، وفي القرن السابع الميلادي فقط إلى اليونان . أما القباب التي هي ضرب من ضروب فن البناء عظيم وهي وحدها التي تمتزج بالقبعة السماوية بخلاف فن البناء اليوناني الذي يكون خطأ في الطبيعة فشرقية الأصل وبنائها كان

معروفاً لدى الفن المعماري الأشوري (١٣٤). وعن طريق فارس أخذ ينتقل هذا الفن إلى سائر بقاع العالم (١٣٤). وكنائس الطائفة المسيحية المعروفة باسم الداوية تقليداً لمسجد عمر بالقدس ، وذلك لأن هذه الطائفة الدينية اعتقدت منذ العصور الوسطى أن هذا المسجد هو معبد سليمان ، وعن طريق هذه العقيدة وتقليد أصحابها لمسجد عمر عند بناء كنائسها انتقل فن البناء العربي إلى أوروبا وظهرت القبة في صورة روفائيل عن زواج مريم . لكن الشيء الجدير بالذكر ، هو أن الأتراك العثمانيين أخذوا نوعاً آخر من القباب عن البيزنطيين ، وهو ذلك النوع المسطح الذي يظهر في مسجد أياصوفيا مع بعض التغيير الطفيف ، إذا كنى الأتراك بنظام أنصاف وأرباع القباب ليتخلصوا من هذه الصورة البغيضة التي تتركها القباب المسطحة في النفس والتي تشبه في الواقع خزانات زيت البترول . وعلى النقيض من القباب البيزنطية التركية المسطحة القباب الفارسية المزخرفة بالقيشاني والتي ترتفع مستديرة منتهية بما يجعلها قريبة من البصلة . وهذا النوع من القباب كثير الانتشار خاصة في الشرق الصقلي كما شق طريقه أخيراً إلى فن البناء الألماني . أما فيما يتعلق بانتقال القباب من الشرق إلى سائر بقاع العالم فقد تركه العلامة (جورج يعقوب) لغيره من الباحثين خاصة أولئك الذين يعنون بالمعمار وتاريخه .

ويذكر المؤلف أيضاً أنه ليس في حاجة إلى مجازاة مؤرخ الفن العالم النموسي (ستريزيجوفسكي) الذي يتحدث عن الشرق وأثره المعماري العظيم في الحضارة العالمية خاصة في بحثه عن آسيا الصغرى كحقل جديد من حقول تاريخ الفن . فقد أثبت هذا العالم أن أهم عناصر الفن الروماني كانت معروفة في الشرق قبل الغرب بقرون ، وذلك بخلاف الفن القوطي الذي بالرغم من صلة القرابة القوية بينه وبين الفن الشرقي لم يأخذ عن الأخير إلا الأقواس المسطحة المدببة بالرغم من أن هناك علماء يقولون إن

الفن القوطى أخذ كثيراً عن الفن الشرقى . فقد ذكر (ديز) فى ص ١٦٨ من كتابه الذى نشره فى فينا عام ١٩٢٣ عن « دراسات حول الفن الشرقى » (١٣٥) أنه يترك لغلاة الوطنيين من الباحثين فرصة الاهتداء إلى أصل الفن القوطى ووطنه سواء فى (إيل ده فرانس) أو غيرها إلا أن هناك حقيقة واحدة لا تقبل تردداً أو مساومة وهى أن كل العوامل التى أدت إلى خلق الفن القوطى شرقية .

وقد استخدم العرب هذا النوع من الأعمدة قبل الأوربيين بزمن لا يقل عن ثلاثة قرون ، ومن بقاياها جامع عقبة ، والأبنية الطولونية بالقاهرة ، والمسجد الأقصى بالقدس . أما القوس المدب الموجود بمقياس الروضة فيظهر أنه أقدم من تلك الموجودة فى مسجد ابن طولون الذى بنى فيما بين عامى ٨٧٦ — ٨٧٨ م . وحاول (هازاك) (١٣٦) إثبات أن العمارة العربية فى القرن التاسع الميلادى استخدمت هذه الأقواس المدبية متأثرة بفن المعمار الأوروبى لكن الجدير بالذكر هنا أن أكبر بناء ألمانى فى شرق ألمانيا ألا وهو (مرينبورج) يحمل آثاراً إسلامية (١٣٧) . وفى الأبراج التابعة لبعض الجماعات الدينية التى ترجع إلى القرن الثالث عشر نجد فى نوافذها وعند المداخل الطوب ، كما توجد كتابات إفريقية على الطوب المطلى ، وكل هذه عناصر شرقية (١٣٨) ويذكر (لسك) فى كتابه عن « أثر شرق آسيا فى فن البناء الغربى خاصة فى ألمانيا فى القرن الثامن عشر (١٣٩) كيف أن فن تلك الجهات الأسيوية ترك أثراً فى الروكوكو وفى العصر الذى سبقه . ونفس هذه النتائج توصل إليها أيضاً (ريشفين) فى كتابه الخالص الذى سبقت الإشارة إليه .

وفى مجموعات الصينى والتماثيل والديوك البرية التى نجدها عند الأمراء الأوربيين أكبر دليل على الولوج والهيام بالفن الصينى . ومن تلك الآثار الشرقية أيضاً السطوح المقوسة التى أخذت تظهر فى المنازل الأوربية ، وحلت زوايا الغرف البيضاوية محل

الزوايا الأخرى العادية . والبارافانات التي أصبحت من القطع الأساسية في أثاث المنزل
يابانية الأصل ، واسمها الإسباني البرتغالي (بيومبو) يؤيد أصلها الياباني إذ أن الاسم
الياباني لقطعة الأثاث هذه هو (بيوبو) . وعن الصين سبق أن ذكر أن أوربا
أخذت نظام تغطية الحيطان بالورق الذي حل محل الجلد وقد كان مستعملا في عصر
الباروك ، أو الحرير أيام الروكوكو ، وحتى في استخدام الجلد أو الحرير أثبت العالم
(برناردت شمديت) في كتابه عن الأبنية والآثار الفنية لمنطقة (مرينبورج) والذي
نشره عام ١٩١٩ (١٤٠) وجود أثر فن شرق آسيا . والذي حدث أن الصين
كانت تغطي حيطان مبانيها بالورق منذ القرن الرابع الميلادي ثم أدخلته هولنده
في القرن السادس عشر وانجلترا في السابع عشر .



ويظهر

أيضاً أن فن البناء الأمبراطوري الانجليزي الجاف متأثر بالمصرى القديم وحتى الأدوات المنزلية الأوربية فالآثر الشرقى فيها عظيم كما يشير إلى ذلك (هينريش بودور) فى كتابه عن « بابل والكتاب المقدس فى الفن الحديث » فهذا المؤلف يذكر أن أشهر عمقريه فى الفن الحديث سواء فى الخلق أو العمق أو التنوع هى ولا شك شخصية (بيتر بهرن) ، وفى آثار هذا الفنان لا نجد العنصر المصرى فحسب بل البابلى الأشورى أيضاً مما يدل على أنه تأثر فى كل آياته الفنية ببابل والكتاب المقدس .

وبينما التراث الشرقى غنى متنوع ، إذ بالرومانى فقير مقل ، وقد يعتبره الإنسان مخرباً هداماً ، فنحن نعلم أن القنديل قضا على القوطى أيام عصر النهضة ، وحطمت الكلاسيكية الروكوكو ، كما فعل مسيحيو شرق أوربا وغربها المتوحشون بالفن العثمانى والإسلامى ، وقد كانت كفة الأخير راجحة فالتاريخ يحدثنا أن المسيحيين عقب استيلائهم على قرطبة والحمرأ شوهوا مساجدها وخربوها وبنوا فى داخلها أبنية أخرى مما دفع كارل الخامس إلى إعلان أسفه أكثر من مرة لم اقرفته يده فى قرطبة والحمرأ . كذلك الحال مع مسيحي شرق أوربا مسيحي البلقان ، فقد امتدت أيديهم إلى آيات الفن الإسلامى العثمانى التى كانت تزين مدنهم وميادينهم وحطموها وأقاموا على أنقاضها أخرى لا تمثل فناً ولا ذوقاً ولا جمالا . وكان ذلك أول عمل قاموا به عقب استقلالهم وانفصالهم عن الدولة العثمانية كذلك فعلت بولندة بالمبانى والكنائس الروسية الجميلة التى ضاعت كلها ضحية لتطرف

روما والكنيسة الرومانية . وماذا فعلت انجلترا بمصر لقد اتخذت لها شعاراً غريباً وهو أن المنفعة أولاً والفن والجمال ثانياً ، لذلك أغرقت معبد الفيلة الجميل آية الفن وعنوان النبوغ المصرى القديم ، كما أن انجلترا تعمل جادة مهدمة بمعوها الحاد جمال القاهرة وتراثها الفنى القديم . وفي ألمانيا أتران فنيان قوطيان وهما دار البلدية بمدينة (روستوك) ومعرض (نورنبرج) وقد قامت حولها مبان أخرى شوهت جمالها وأضاعوا روعتهما . كذلك الحال مع الكتدرائية القيصرية بمدينة (جوسلر) فقد أدخلت عليها عناصر كلاسيكية أفقدتها روعتها القوطية القديمة ، ولم يكد فريديريش الأكبر يغمض عينيه حتى قامت مجموعة من الأشياء الفنية الملونة بأقبح الألوان والبعيدة عن الذوق والتي إن دلت على شيء فعلى جهل صانعيها وعجزهم عن إدراك وتطبيق ما تلقوه من علم وفن . والواقع إن مسئولية هذا المسخ تقع على عاتق هذه الفئة المتشعبة بروح الكلاسيكيين والإنسانيين ، ويذكر (تيودور منزل) فى نقده لكتاب (ريموند) عن الخنزف ذى البريق المعدني التركي القديم فى الإسلام أن الإنسان إذا تغاضى عن أعمال التخريب والتدمير التى تسببها الحروب ، فالتركى حيث جاء كفاتح حافظ على سائر الأبنية القيمة كما أبقى على كثير منها ، ولما استولى العثمانيون على القسطنطينية كانت فى حالة تدهور وخراب أما صورتها الحديثة الجميلة فن عمل اليد التركية فقد عنى الأتراك بها عناية كبرى ورعوا الفن وحنوا على الفنانين ، بخلاف المشاهد فى مدينة البندقية الآن مثلاً . وإذا نظر الإنسان إلى البلاد التى خضعت من قبل لحكم الأتراك وجد آيات الفن القديمة من كنائس وما إليها باقية بخلاف الحال الآن بعد أن تقلص حكم الأتراك فلا أثر للأبنية العظيمة التى شادها الأتراك من مساجد وغيرها . أما الحالة فى بلاد اليونان فأشنع وأفظع ، فقد خرب اليونانيون سائر الأبنية التركية من دور كتب ومساجد وغيرها ، وقد شاهد العلامة

(جورج يعقوب) في قلعة (ميتلين) مكتبة مسجد خربة خالية وليس بها إلا بعض البقايا القليلة من الكتب مبعثرة على الأرض .

وفما يتعلق بالأبنية التكنيكية خاصة تلك الأبنية الدفاعية كالحصون وما إليها فقد مر عليها (جورج يعقوب) سريعاً ورفض أن يقف ولو وقفة قصيرة منها ثم ذكر أن العالم (أوتوبير) يرجح أن أنصاف الأبراج التي ما زالت إلى اليوم قائمة في (فريبورج) بسويسرا مثلاً شرقية الأصل عرفتها فلسطين ، وهي عبارة عن أبراج نصف مستديرة أو قائمة الزوايا ومفتوحة من الداخل لا يأمن العدو إليها ، ولا يستطيع أن يطيل الإقامة بها . أما الشواكل أي الممرات الجانبية التي بها فتحات فشرقية الأصل أيضاً بدليل أن التسمية الأوربية (مشيكوليس) عربية الأصل . كذلك الحال مع الرحي الهوائية الفارسية فهي أقدم من تلك التي عرفتها أوربا بقرن على الأقل ، ولعل أقدم نص ورد فيه ذكر هذه الرحي الهوائية هو ذلك الخبر الذي يذكره مؤرخو العرب خاصة بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد جاء في الطبري : خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف في السوق فلقبه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وكان نصرانياً فقال : يا أمير المؤمنين أعدني على المغيرة بن شعبة فإن عليّ خراجاً كثيراً ، قال : وكم خراجك ؟ قال : درهمان في كل يوم . قال : وأيش صنعتك ؟ قال : نجار نقاش حداد قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحي تطحن بالريح فعلت قال : نعم . قال : فاعمل لي رحي . قال : لئن سلمت لأعملن لك رحي يتحدث بها من بالشرق والغرب ثم انصرف عنه .

وجاء في آثار البلاد للقرزويني ج ٢ ص ٣٢٢ طبع (فستيفيلد) أن من عجائبا (هراة) أرحية مبنية على الريح تديرها الريح بنفسها كما يديرها الماء (١٤١) .

ويتم الإسلام بأنه حارب التصوير إلا أنه لم يحرم الميادين العامة بالمدن الكبرى من ظلال الأشجار وجمال الزهور . وهذا خير من تمثال ضخمة من البلاستيك قد يكون قبيحاً ، وقد يعيق حركة المرور عندما تضرب حوله الأعمدة الخشبية لحمايته ، أو لما ترفع هذه الألواح الخشبية ، ويعين له بعض الحراس للمحافظة عليه من المارة . وقد يصعب على الإنسان أن يتصور أن الإسلام الذي حرم التصوير ترك أثراً بعيداً في الرسم الأوربي كما أن العلاقة بين الرسوم المصغرة الشرقية والغربية قوية جداً ، ولا يستطيع أحد إنكارها . وليس مصدر هذا الشبه اتفاقهما في الأصول فنحن نعلم تركيز الرسم المصغر الإسلامي في الماء والسحاب والنار وغيرها من العناصر الشرقية مما يؤيد أن هذا الفن شرقي قديم . وقد ألفت حفائز (تر فان) نوراً جديداً على هذه المسألة . وسبق أن أشار « جورج يعقوب » إلى مدرسة فنون البندقية وكيف أن هذه المدينة كانت في يوم ما الباب الذي تدخل منه إلى أوروبا الآثار الفنية الشرقية الجميلة مثل سجاد برجاما وغيره من الآيات الفنية ذات الألوان البديعة . وقد أثر موقع البندقية في مدرستها الفنية فكنها من التفوق على المدارس الأخرى التي كانت تعنى لا بالألوان فحسب بل بالذوق والجمال أيضاً ، خاصة في عصر النهضة . ويذكر (ساريه) أن المصور العالمي (رمبراندت) تعلم كثيراً من الرسوم المصغرة الهندية الإسلامية التي قلدها وصورها (١٤٢) كما استغل كثيراً من الأواني والملابس الشرقية التي عرضها في لوحات كثيراً ما تعتمد على بيئة شرقية ، ورشاقة شرقية . وقد انتقل هذا الأثر الشرقي من (رمبراندت) إلى كثيرين من المصورين الهولنديين حتى أصبحت

البيئة الشرقية ، والنباتات الشرقية ، والحيوانات الشرقية ، والحيوية الشرقية هي الطابع الخاص للتصوير الهولندي ، واللوحات الهولندية . ومن الفنون الشرقية التي أثرت في أوربا أيضاً الفن الياباني وطباعة الألوان اليابانية . وقد تغلغت الأخيرة في فن فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإن كان وصولها إلى ألمانيا جاء متأخراً . أما أثر الفن الياباني فيستطيع كل باحث في الفنون وتاريخها أن يعدد أسماء الفنانين الأوربيين الذين تأثروا به خاصة في هذا النوع المعروف الذى يحاكي الطبيعة (أمبرسيمونيزم) (والإعلانات) وقد أثر الشرق أيضاً تأثيراً مباشراً ، إذا استثنينا طريق الفن ، في الفن الغربي فجعل البيئة عنصراً فنياً هاماً وأصبح الشرق موضوعاً لكثيرين من الفنانين الأوربيين الذين يكوّنون مدرسة هامة في الفن الحديث . فقد استخدم هؤلاء الفنانون ريشتهم استخدام الشعاع العربي قريحته ، فهم يغمسونها في شمس الشرق الساطعة ويقدمونها للغرب صورة ملونة بألوان لا تتفق وطبيعة الغرب الباردة ، هي صورة تقيض حيوية وقوة ، هي صورة محببة إلى النفس ويطمع في اقتنائها كل فرد . وعن طريق هذه اللوحات الفنية الشرقية الجميلة تعرفت أوربا أيضاً إلى الشرق وتعرف الأوربي إلى أثر هذا الشرق في الغرب . لكن الشيء الجدير بالملاحظة هو أن منظّمى المعارض الفنية كثيراً ما يراعون بعض العوامل الخارجية الخاصة مثلا بفن الصورة أو وطن الفنان ويهملون العوامل الخالقة للصورة أو عناصرها التاريخية . وقد تنبه إلى هذا منظمو معرض ميونخ الذى أقيم عام ١٩١٠ وعرضت فيه أشهر لوحات الفن الإسلامى وزاد في فائدة هذا المعرض معرض مؤتمر المستشرقين الألمان الذى عقد في نفس الزمان والمكان ، وقد استفاد من إقامة المعرض وعقد المؤتمر المسرح وفن الكتب المصورة وسائر الجماعات التى تعنى بالفنون . وقد أتاح هذا المعرض لزواره الفرصة لمشاهدة الشرق من نواحيه المختلفة كما مكن الفنان من التعرف إليه وإصدار

حكم عنه يخالف حكم السائح أو العالم أحياناً . هذا فضلاً عن الفوائد التي يجنيها شمال أوروبا البارد ، والمؤثرات الجديدة التي قد يخضع لها .

ومن أشهر الفنانين الأوربيين الذين كرسوا حياتهم للشرق (١٤٣) والشرقيين (هلدبرند) (١٨١٨ - ١٨٦٨) مصور المناطق المدارية ، وصاحب اللوحات المائية التي قام برسمها أثناء رحلته العالمية . وقد خلقت لوحاته هذه بألوانها الفتانة فناً جديداً في عالم الألوان . وغير هذا الفنان نجد أيضاً (وليم جنتز) (١٨٢٢ - ١٨٩٠) ولوحاته محفوظة بالنسيونال جالريه بيرلين وكذلك نجد الفنان الشهير (فيرنزايننهوت) المتوفى عام ١٩٠٣ ومن أشهر لوحاته (موت جول بابا بمدينة أوفن) وهي تعتبر من أجمل اللوحات التي تفخر بها مدينة بودابست . ثم نجد أيضاً (فسيلي فرشتاجن) الذي خرق قتيلاً عام ١٩٠٤ . فقد استطاع هذا الفنان الموهوب أن يصور عظمة الفن المعماري المغولي بالهند كما رسم بريشته الحروب الشرقية معتمداً على مشاهداته الشخصية (١٤٤) . ومن أشهر الفنانين الفرنسيين الذين عنوا بالشرق الفنان الكبير (دلاكروا) (١٤٥) و(ديكم) و(سريلاهات) و(فرومنتين) و(جويليوميت) الذين عرض (موتز) لهم ولآثارهم الفنية في كتابه عن تاريخ الرسم في القرن التاسع عشر (١٤٦) . وليست حملة نابليون على مصر هي التي جعلت الغرب يدرك جمال الشرق وروعته وخياله القصصي ونقائضه الجميلة بل ظهور العصر الرومانتيكي .

ومن الأبحاث الجديرة بعناية العلماء واهتمامهم وضع كتاب في تاريخ الفن القصصى ونشأته في العهد القديم (التوراة) مثلا نجد القاص الإسرائيلي الشمالي يلعب الدور الهام في التأثير على عقلية الشعب ومعتقداته مما أدى إلى سيطرة نوع من الرهبة على عقلية الإسرائيليين عند معالجتهم لأسفارهم المقدسة نلمس آثارها في كثرة التفاسير التي نشأت في تلك العصور والتي هي خلو من الذوق والفن ، ولم يتبين العالم حقيقة أسفار العهد القديم وما فيها من جمال وفن إلا بعد أن زالت تلك الرهبة وتحمرت العقول من شبح رجال الدين ، فظهر أمثال (جونكل) ووضع تفسيره الشهير لسفر التكوين ، واستطاع أن يكشف للقارىء ما في هذا السفر من فن في العرض وذوق في التعبير . كذلك الحال مع الإنجيل من حيث أسلوبه وعباراته فقد حاول كثيرون فهمه على ضوء التراث الأدبي الكلاسيكي ففشلوا ، وذلك لأنه من الثابت أن الإنجيل ألف أصلا بالآرامية وليس باليونانية ، ونحن إذا قرأنا بعض قصصه مثل قصة بطرس وأنكاره للمسيح لمسنا الأصل الآرامي وأدركنا التأثير البليغ الذي تتركه هذه القصة فينا والذي لا نجد في القصة في ثوبها اليوناني الغريب . والنشرات التي تتحدث عن اعتناق القديسين المسيحيين للنصرانية ، وعن المعجزات التي أتوا بها ونبوءاتهم عن يوم مآتهم هي في الواقع شرقية . ففي البلاد الإسلامية نجد ما يعرف بكتب المناقب ، وهي سير الأولياء والصالحين ، وعلى نمط هذه الكتب وضعت المؤلفات الغربية المسيحية . وما يؤسف له أن تاريخ هذا الضرب من الأدب لم يبحث ولم توجه إليه العناية اللازمة . وفي فجر الأدب الألماني القديم نجد أمثال (هليند) و (أوتفريد)

يحاولان معالجة مجموعة من المواضيع الشرقية ، وعند بزوغ فجر الآداب الألمانية الحديثة نجد (كلو پشتوك) بلباسه القديم الذى جعله مسيحاً غير مقبول . وكتاب دانيال أصبح المثل الأعلى لسائر الآداب المنسوبة لغير مؤلفها أعنى للوحى إلى (نبوءات لهنين) . و(جوته) شغف إبان طفولته وشبابه بالعهد القديم حتى عرف عنه فى ليزرغ ولعه بالحديث عن العهد القديم وفى عام ١٩١٢ تقدم (كونراد برداخ) ببحث إلى الأكاديمية البرلينية حول — فاوست وموسى — أثبت فيه أثر قصة موسى حتى تلك الواردة فى القرآن فى (فاوست) وهذا الأثر ملاحظ عند ظهور الله فى العليقة ، كما أن منظر الموت الوارد فى الفصل الثانى يشبه وصف وفاة موسى كما تذكره الكتب اليهودية المتأخرة . أما مدخل (فاوست) فقد أخذه (جوته) عن المسرح الهندى وسفر أيوب . أما فيما يتعلق بشاعر إيطاليا الخالد (دنتى) وتأثره بالشرق العربى والمصادر الإسلامية فقد عرض له المستشرق الإسبانى (ا. بالسيوس) ووفاه حقه .

والشىء الجدير بالذكر أيضاً أن كثيراً من القصص والأساطير المنتشرة فى الغرب يرجع إلى الشرق وخاصة الهند . ففى قصة (برلام ويواسف) مثلاً المنتشرة فى العالم المسيحى ، والتى تبشر فى ثوبها الحالى بالمسيحية ، وتدعو إلى النسك هندية الأصل .

وهى تلخص فى أنه كان بأرض الهند ملك عظيم ، وكان حريصاً على الاحتفاظ بملكه فباعد بينه وبين رجال الأديان وعاش فى الوثنية . وكان له صديق يجله ويحترمه فاقطع عنه مدة فسأل عنه الملك فأخبر أنه زهد فى الدنيا ولحق بالنسك . فأمر الملك بإحضاره ودار بين الاثنين حديث ظريف حول الفرد وحرية ، ومن ثم ينتقل الناسك من هذا الحديث إلى خبر اعتزاله الدنيا وتنسكه ، فيقول كيف أنه سمع فى حديثه أن الجاهل يحسب الأمر الذى هو الشىء لاشىء ، والأمر الذى لاشىء شيئاً ، وأن من لم يرفض الأمر الذى لاشىء لم ينل الأمر الذى هو الشىء . ومن لم ينظر الأمر الذى هو الشىء

لم تطب نفسه بترك الذى هو لاشيء . والشىء هو الآخرة ، والذى لاشىء هو الدنيا .
ومع تقدم السن أدرك هذا الصديق أن حياة الدنيا موت ، وغناءها فقر ، وفرحها
حزن ، وشبعها جوع ، وصحتها سقم ، وقوتها ضعف ، وعزها ذل ، ولذتها ألم ، لأن الموت
مصير الحى ، والحاجة ملازمة للغنى ، والدنيا مرصدة لكل من أصاب منها سروراً
بأن يعقبه حزناً و... وبعد أن يعدد الناسك للملك مصائب الدهر ومتاعب الحياة
يذكره بأن الدنيا هي صاحب الذى لا يؤمن جانبه ، وهي الطريق المهلك ، والسفينة
الخلقة ، والبيت الكثير الأفاعى ، والجنان الزائدة الوحوش . الدنيا هي التى تعقد التاج
على رأس الملك ثم تدفن رأسه فى التراب ، تحلى الأيدى بالذهب وتغلقها بالحديد . هذه
هي الدنيا ، وأما الناس فاختلفهم على قدر تفاضلهم فى القوة فمنهم من هو كالأسد
فى البطش ، ومنهم كالذئب فى الخطف ، ومنهم كالكلب فى الهرير تارة والبصاصة
تارة ، ومنهم كالثعلب فى الحيل والسرقة ، والقصد واحد والطرق مختلفة . ويختم
هذا الحديث بين الناسك والملك بعبارة توضع على لسان الملك ملخصها أيها الحكيم
إنك لم تبصر شيئاً ، ولم تظفر إلا بالشقاء العاجل والأمل الباطل والحرمان النازل
فاخرج من مملكتى فإنك فاسد .

وبعد ذلك تنتقل القصة إلى الحديث عن ابن الملك وكيف أنه لما ولد له ، أمر
والده بإحضار المنجمين والعلماء لعمل مولد له فذكروا أنهم قد وجدوا أن هذا المولود
سيبلغ من علو المرتبة ما لم يبلغه ملك من ملوك الأرض ، وظن أحد العلماء أنه سيكون
إماماً فى النسك فتغص سرور الملك بالسلام ثم أمر فأخلى له مدينة وتخير لخدمته
وتريبته الثقة الصونة ، وطلب إليهم ألا يذكروا فيما بينهم موتاً ولا آخرة ، ولادنياً ،
ولا نسكاً ، ولا زوالاً ولا معاداً . لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد فالملك غاضب
حانق على الناسك لذلك يأمر بتشتيتهم والقضاء على من يتخلف منهم ، ويعمن فى

التضييق على ابنه الذى يضيق صدره بهذا الحصار ، ويدرك الملك أن هذا الحبس لا يزيده إلا إغراء ، وأمر الملك أصحابه أن يركبوا فى أحسن زى وينحوا عن طريقه كل منظر سوء ، ويحدث أن غفلوا عن رجلين من المتصدقين أحدهما مورم مرهل مصفر بشع المنظر شديد الأثين ، والآخر أعمى ينهش فأنده لينحيه بسرعة من طريقه ، فلما رآها ابن الملك اقشعر منهما ومضى محزوناً باغضاً للعيش مستخفاً بالملك . ثم رأى مرة شيخاً كبيراً قد أحناه الكبر وابيض شعره واسود لونه وقال ما هذا ؟ فقيل له : الهرم . فقال : وفي كم يبلغه المرء ؟ فقيل له : فى مائة سنة ونحوها : فقال وما وراء ذلك ؟ قيل له : الموت : فقال ما أسرع اليوم فى الشهر والشهر فى السنة والسنة فى العمر إن الأمر لغير ما نشتغل به . فانصرفت نفسه عن الدنيا وشهواتها . واجتمع إلى رجل كان يأنس إليه فحدثه عن النسك والنسك فاشتهر أمر ابن الملك حتى بلغ خبره حكيم سرنديب واسمه (برلام) فقال لأخرجن هذا الحى من بين أولئك الموتى ، فلما وصل إلى المدينة التى فيها ابن الملك خلع لبس النسك ولبس لبس التجار ، ونجح فى الاتصال بابن الملك وأقنعه بوجوب الزهد فى الحياة . وعلم الملك بهذا الخبر فغضب غضباً شديداً . لكن لم يمض زمن طويل حتى اعتنق الملك ما استنكره بالأمس (١٤٧) .

هذه هى خلاصة القصة الهندية قبل أن تصل إلى أوربا عن طريق العرب . وهى فى هذا القالب تخالف تلك المتداولة اليوم فى العالم المسيحى . وذلك لأنها أول ما انتقلت من الهند كان فى القرن السادس عندما ترجمت إلى الفهلوية أيام خسرو ، وعن الأخيرة نقلت إلى العربية فى النصف الثانى من القرن الثامن . ولم يكذب يطلع القرن التاسع إلا واهتم المسيحيون بها وترجمت إلى اليونانية ترجمة تدعو إلى المسيحية وتبشر بالنسك . ومن ذلك الحين أخذ العلماء يترجمونها إلى مختلف اللغات متأثرين بالروح المسيحية . والشئ الجدير بالذكر أن قصة (برلام ويواسف) هذه التى عرفها

العرب عن طريق الترجمة العربية القديمة عادت في العصور الوسطى إلى العربية ثانية لكن في ثوبها اليوناني أعنى هذا الثوب المسيحي ، وأصبحنا نجد في العربية نصين مختلفين لبرلام ويواسف .

كذلك القصص الخاصة بالحيوانات والتي كثيراً ما تتحدث عن الفرح والسرور أخذت في الواقع عن الشعوب التي تؤمن بفكرة التناسخ . وقصة القديس (هوبرتوس) حامي الصيادين نجدها في كثير من المصادر العربية التي عنيت بالحيوان . وقد وفق الدكتور (سنجر) (١٤٨) عام ١٩١٨ إلى إرجاع كثير من القصص العربية إلى أصولها الشرقية في كتابه حول الشعر العربي والأوربي في العصور الوسطى . وفي هذا الكتاب نقرأ أيضاً كيف وفق المؤلف إلى ربط قصص (مسأى) التي تتفق كما عرضها (هنز نومان) (١٤٩) مع (برسفال) وإذا كان مستشرقو أوربا يعترفون علانية أن حظهم من دراسة الملاحم الفارسية وقصص البطولة العربية قليل جداً أدركنا أن النتائج التي وصلوا إليها خاصة ما يتصل منها بشعر قصور ملوك وأمراء العصور الوسطى وإرجاعه إلى أصوله الشرقية توفيق عظيم (١٥٠) . أما قصة الشاعر الألماني (جلرت) المعروفة باسم (القدّر) فمأخوذة من قصيدة (جامي) (١٥١) المعروفة باسم (حبة الأبرار) والتي مطلعها :

حكايت

كفت روزى بمناجات كلیم کای جهاندار خداوند کریم
والموضوع الذي عاجله (شلار) في قصيدته (الطريق إلى المطرقة الحديدية)
والذي يلخص في القول المأثور من حفر بئراً لأخيه وقع فيها هندي الأصل (١٥٢) .

والرومنتيك

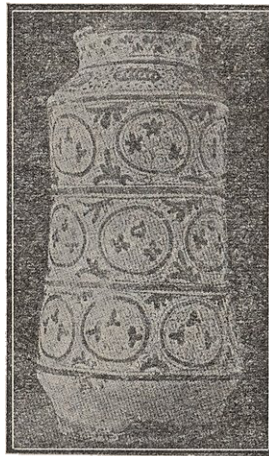
الألماني ترك أترأ بعيداً في العالم الخارجي أكثر من الفن الإمبراطوري القديم ، وذلك لأن الفن الرومنتيكي الألماني

لم يتجه إلى العالم الكلاسيكي مستوحياً مثله العليا بل ولّى وجهه شطر الشرق خاصة في العصور الوسطى . ولما وضع (فريدريش فون شليجل) كتابه الشهير عن حكمة الهندود ولقّتهم فتح الأبواب التي كانت موصدة ، وعبّد بذلك الطريق بين الشرق والغرب . وما يقال عن فون شليجل يقال أيضاً عن (ريكرت) الذي عمّرَ الغرب بحكمة البراهمة وعقليتهم . وغير المواعظ والحكم والأمثال نجد كذلك القصص والشعر فالقطعة المعروفة باسم « الرجل في أرض السوريين » صادفت في ألمانيا قبولاً حسناً كما أن المثل الأعلى للأثونة الذي عرضه (ريكرت) للغرب مأخوذ عن أسطورة (مهاهارت سافترى) الهندية ، فهذه القطعة وغيرها قدمها (ريكرت) في أسلوب سهل ولغة رقيقة . وغير (ريكرت) نجد في ألمانيا الشاعر (أولند) واضع قصيدة (جليك فون أيدنهل) التي يعرض فيها للسعادة والحظ ، يعلق قيام السعادة على عدم كسر الكأس . وهذا العامل هو بعينه الذي نجده في (ياتكه) البوذية (١٥٣) . ثم قصة الضربة السوابية هي تلك التي نجدها في الصفحات الأولى من المخطوطة المعروفة باسم أخبار الدولة السلجوقية للسلطان مسعود بن محمود بن سيكنوجين الذي هرب من السلاجقة فتبعه عدد من الفرسان إلا أنه نصف أحدهم فهرب الباكون (١٥٤) . وقد حاول نفر من علماء أوروبا منذ مائة عام بحث الآثار الأدبية التي تركها كتاب ألف ليلة وليلة على أدياء أوروبا وكتّابها فاتموا إلى أن هذا الكتاب تغفل

إلى مسافات بعيدة جداً لا في الحياة الأدبية الأوربية فحسب بل في الفنية أيضاً .
 وضرب آخر من ضروب الأدب شاع وانتشر في العصور المتأخرة في أوربا
 ألا وهو هذا النوع من القصص المتصل بالحيوان والذي يتخذ الحيوان موضوعاً .
 فهذا اللون من الأدب شرف الأصل عرفه الشعر العربي الجاهلي قبل الأدب الأوربي
 بقرون ويكفي أن يشار هنا إلى لامية الشنفرى (١٥٥) التي يقول فيها :

وَأَغْدُوا عَلَى الْقُوْتِ الزَّهِيْدِ كَمَا غَدَا	أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ
غَدَا طَاوِيًّا يُمَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًّا	يَحْوَتْ بِأَذْنَابِ الشَّمَابِ وَيَعْسَلُ
فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوْتُ مِنْ حَيْثُ أُمَّهُ	دَعَا فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ نُحْلُ
مُهَلَّلَةٌ شَيْبُ الْوُجُوهِ كَأَنَّهَا	قِدَاحُ بَكْفِي يَاسِرٍ تَتَمَلَّقَلُ
أَوْ الْخَشْرَمُ الْمَبْعُوْثُ حَنَحَتْ دَرُّهُ	حَا بِيضُ أَرْسَاهُنَّ سَامٍ مُعْسَلُ
مُهَرَّتَهُ نَوَهُ كَأَنَّ شُدُوْقَهَا	شَقُوْقَ عِصِي كَلْحَاتِ وَبُسْلُ
فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبِرَاحِ كَأَنَّهَا	وَإِيَّاهُ نَوْحٌ فَوْقَ عَلِيَاءِ مُكَلُّ
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَأَتَسَى وَأَتَسَتْ بِهِ	مَرَامِيْلُ عَزَاهَا وَعَزَّتَهُ مُرْمِلُ
شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بَعْدُ وَارْعَوَتْ	وَلِلصَّبْرِ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوْ أَجَلُ
وَفَاءٌ وَفَاءَتْ بِادْرَاتِ وَكُلَّهَا	عَلَى نَكْطٍ مِمَّا يُكَاتِمُ مُجْمَلُ
وَتَشْرَبُ أَسَارَى النَّظَا الْكُدْرُ بَعْدَمَا	سَرَتْ قَرَبًا أَحْشَاؤَهَا تَتَصَلَّصَلُ
هَمَمْتُ وَهَمَّتْ وَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلَتْ	وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ مَتَمَهَّلُ
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعَقْرِهِ	يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُفُونٌ وَحَوْصَلُ
كَأَنَّ وَغَاها حَجْرَتِيهِ وَحَوْلَهُ	أَضَامِيْمٌ مِنْ سَفْرِ الْقَبَائِلِ نَزَلُ
تَوَافِيْنَ مِنْ شَقَى إِلَيْهِ فَضَمَّهَا	كَأَضْمِ أَدْوَادِ الْأَصَارِيْمِ مَنَهْلُ
فَعَمَبَّتْ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا	مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ إِحَاظَةِ مُجْمَلُ

ففي هذه الأبيات نقرأ هذا العرض الجميل للذئاب وصياحها ، والقطا وتحليتها عند الشرب . وغير لامية العرب ، الكثرة المطلقة من الشعر العربي حيث نقرأ وصف النياق أو حمر الوحش أو مناظر الصيد . وبيننا نقرأ في شعرنا العربي هذا الضرب الرفيع من ضروب الأدب ، إذ برجال العصر الكلاسيكي يضعون أنفسهم في مستوى يعارض مستوى الشاعر الحقيقي الذي يجب عليه أن يستوحى سائر الكائنات سواء كانت حيوانات أو نباتات . لقد أهمل شعراء أوروبا الأولون الحيوان فلم يعنوا به ، ولم يفتنوا إليه شعراء الغرب إلا في العصور المتأخرة متأثرين بالعرب والشعر الإسلامي . ولا يفوتنا أن نذكر هنا شخصية (حى بن يقطان) التي عرفها العرب منذ زمن قديم (١٥٦) والتي هي صاحبة الفضل الحقيقي في نشأة مجموعة القصص الغريبة المتأخرة والتي تنسب إلى (رويين صون) (١٥٧) .



أثر الشرق في الفن والتصوير، ورأيناه كمادة هامة لفريق من المصورين والرسامين الأوربيين، والآن ينتقل المؤلف إلى الحديث عن الشرق وأثره في الآداب الأوربية كمادة للكتاب والشعراء. وأول من عنى بالشرق من رجال الأدب الغربيين فكتور هوجو في قصائده المعروفة باسم (أورينتال) وقد نقلها إلى الألمانية (فرايليجرات) و (جيبيل) وقد اتهم أولها بالوقوع في بعض الأخطاء لجهله بالشرق وشئونه. ولكن هل اليونان الذين يصورهم (جوته) في شعره هم يونانيون حقيقيون وأليست قطع (جوته) الخالدة التي عالج فيها المسائل اليونانية أمثال (افيجنيا) أبعد ما تكون عن اليونان كما وصفها (شلر)؟ وهل يستحسن أن تكون الصورة التي يعرضها الشاعر أو الأديب كتلك التي تلتقطها عدسة المصور؟ وغير أولئك نفر الذين سبقت الإشارة إليهم نجد أمثال (مريه) و(فون فيسنتي) و (البارون سوتنر) و (ميلنا بريندلز برجر مراروفي) و (أندريس) وغيرهم الذين عنوا خاصة بالنفس الشرقية والشرق. كما أدرك (جويلروب) فهم وجهة نظر الهنود في الحياة كما يتجلى لنا ذلك في مؤلفيه العظيمين (بلجر كامانيتا) و (فلتنتندرر).

وشعر ألمانيا العاطفي كان إبان النهضة الكنسية الغنائية متأثراً بالزمير العبرية. وكثيرون من الشعراء الذين تفرغوا لهذا النوع من الشعر العاطفي في ألمانيا ما زال شعرهم حتى اليوم واقفاً تحت هذا التأثير وهو يكون جزءاً هاماً من الأدب الشعبي الألماني. وكل فرد عنده شيء من الاستعداد لإدراك الحقائق التاريخية يقرر أنه من المستبعد جداً أن أدباً عبرياً سامياً يمتد إلى الفينيقية مثلاً لغة وأدباً بصلته قرابة قوية

استطاع أن يلعب هذا الدور المستقل غير متأثر بالأدب السامية الأخرى التي عاش في كنفها . فنذ معرفتنا بوجود مزامير التوبة البابلية ونحن نكاد نجزم أن كتاب الأغاني اليهودى الذى كان للجماعة اليهودية بعد السبي نشأ كما يعتقد (فلهوزن) إبان السبي وتحت التأثير البابلى لذلك يجب أن يسلم بأن فن الشعر البابلى ما زال إلى اليوم حياً فى الشعر الألمانى . وتوصل جماعة من العلماء إلى إثبات أن غزل الفروسية الذى كان منتشراً فى العصور الوسطى بألمانيا متأثر تأثراً كبيراً بغزل الفرسان الفرنسيين الذى كان منتشراً فى بعض أجزاء فرنسا والمعروف باسم شعر التروبادور . ويقر أمثال (برداخ) و (سنجر) أن هذا الضرب الأخير من ضروب الغزل أخذ فى الواقع عن الغزل العربى . فالشرق والغرب يتفقان فى هذه الظاهرة ، والعامل المشترك بينهما الإشادة بالمرأة وجمالها ، وبينما هذه الإشادة شرف للمرأة الغربية إذ بها عار كبير لأختها الشرقية . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل نجد فى القرن التاسع عشر زعيم الغزلين الشرقيين (حافظ) شيرازى يغزو أوروبا بغزلياته عن طريق شاعر ألمانيا (جوته) الذى وضع كثيراً من القصائد التى تدور حول الغناء ، والعشق ، والحكمة والأمثال ، والشرب ، ومواضيع أخرى . وجمع الشاعر القصائد ذات الموضوع الواحد فى كتاب خاص فهناك (مغنى نامه) و (حافظ نامه) و (عشق نامه) و (تفكير نامه) و (حكمت نامه) و (تيمور نامه) و (زليخا نامه) و (ساقى نامه) و (مثل نامه) و (خلد نامه) وغيرها من الكتب التى يطلق (جوته) عليها (الديوان العربى الشرقى) . وغير (جوته) نجد الشاعر الألمانى (بودنشتت) الذى نشر (مرزا شافع) أكثر من مائة مرة . وقد تركت هذه الشاعرية الشرقية الغرامية أثراً قوياً جداً فى شعر الغرب وغزلياته .

وغير الشعر الإسلامى نجد فى شعر (جوته) أيضاً أثراً للأدب الصينى (١٥٨)

ولكى ندرك الفرق بين الكلام المقفى والمرسل يكفى أن نجرد مثلاً بعض أبيات الشاعر (بلاتن) من قوافيها ونعالجها في بحر (الهكسامتر) الطويل المل ، وعندئذ فقط نستطيع إدراك التقدم العظيم الذى بلغه الشعر بفضل استخدام القافية . ومهما حاول أنصار المدرسة الكلاسيكية محاربة القافية فلن يكتب لهم التوفيق ، ونظرة إلى الشعر الجرمانى القديم تكفى إلى الاهتداء إلى هذه المحاولات الأولية التى حاولها الشعراء المتقدمون عندما استخدموا القافية كوصلة صوتية لا بد منها مما يؤيد شعور المتقدمين بالنقص ومحاولتهم إتمامه . ولا نذهب بعيداً ونقرر أن حتى أنصار الشعر الكلاسيكى إذا ما حاولوا اليوم التعبير عن آرائهم وعواطفهم بألفاظ قوية وعبارات رصينة لجأوا إلى السجع والقافية ، بخلاف استخدام هذه العبارات المرسلّة التى نجدها فى وزن (هكسامتر) مثلاً . فقد أضر هذا البحر بالأدب الألمانى ضرراً بليغاً ، فلو قدر لشاعر ألمانى (جوته) أن يضع قصته (هرمن ودروتيه) نثرأً لصادفت من قلوب قراء الأدب الألمانى قبولاً حسناً بخلاف هذا النوع من الإعراض الذى يتلقاها به قراؤها فى أسلوبها الهكسامترى الطويل المل . ومن حسن الحظ أن عنى بعض شعراء وكتاب الألمانية فى العصر القديم بضرب من ضروب القافية فسموا باللغة وهذبوها ، فثقفوا جرسها ، وثمقوا صوتها .

القافية التي قد يختلف بعض العلماء في وطنها الأصلي نجد أترأً أديباً آخر يغزو **وغير** الأدب الأوربي في العصور الوسطى ، وهو هذا الضرب من فنون الشعر الذي انتشر بين طبقات الشعب المختلفة ، وشغل من أدبها المكان الأول ، أعنى الزجل . فهذا الفن من فنون الشعر السبعة التي نشأت فيما بعد في الأدب العربي مختلف في وطنه كما اختلف العلماء أيضاً حول الوطن الأصلي للمواليا ، فهناك رواية تذكر بغداد ومخترعه جارية عاشت أيام هرون الرشيد ، ورواية أخرى يفهم منها ضمناً أن وطنه بلاد المغرب ، واخترعه رجل يقال له راشد ، وقيل أبو بكر قرمان . ويذكر ابن خلدون أن هذا الفن ظهر في الأندلس وأنه من مستحدثات أهلها ، وأن أول من أبدع فيه أبو بكر قرمان وإن كانت الأزجال قد قيلت قبله . وعلى كل حال فهذا الفن من الشعر بإجماع جميع الروايات أبتع وكثر في الأندلس دون سائر الأقطار الإسلامية . وهذا الضرب من فنون الشعر العربي يمتاز بصدق تمثيله لنفسية الإنسان وخواطره ، وقد ظهر بعد أن مهد له شعراء العرب من جاهليين وإسلاميين بشعرهم الغزلى الذى شادوا فيه بالمرأة وجمالها . هذه المرأة التي احتلت من شعرهم المكان الأول ، حتى إن الشاعر العربي ليستهل قصيدته أو حوليته بالغزل . هذه النفسية العربية بعينها التي جعلت العربي قبل غيره يعترف بأثر المرأة ومكاتها في حياته الأدبية أو الاجتماعية اضطرت الشعر العربي إلى الإنصاح والتعبير عما يجول بخاطر الشاعر ، وهذه الظاهرة لم تظهر في أوربا إلا بعد أن احتكت بالعرب في الأندلس وصقلية والحروب الصليبية . وقد انتشر هذا الفن في جنوب فرنسا حيث نجد جماعة التروبادور ، ومن ثم يشق

هذا الفن طريقه إلى مختلف الممالك الأوربية خاصة إيطاليا ، كما أشار إلى ذلك العلامة الألماني (جراف شك) وأثبتته (١٦١) .



توزيع العذراء

والآله

نتقل إلى المسرح ونلقى بنظرة على الأدب المسرحي الذي استعار الكثير من الكتاب المقدس والشرق . فعند (فولتير) نجد الأصل الصيني في (يتيم الصين) كما نجد في (تورندوت) لشيلر الأثر الفارسي حيث اقتبست المادة من كتاب ألف يوم ويوم (١٦٢) . ومن الثابت أيضاً أن المسرح الأوربي تأثر في القرن الثامن عشر بالفن الصيني فأخذ عنه النوع الغنائى التمثيلي المعروف بالأوبريت . فولا الصين ما استطاع هذا الفن أن يبلغ ما بلغه في أوروبا ، وقد عرض لهذا الأثر الصيني العالم (ريشفين) في كتابه السالف الذكر وقال : إنه من الصعب جداً أن يبلغ في هذا الأثر : وعن الصين أيضاً أخذت أوروبا الفن المسرحي المعروف بالظل الصيني الذي استغلته جماعة الرومانتيكيين في ميونخ التي كانت تمثل ألعاب خيال الظل السوابية وتعنى بإخراجها ، ومن ثم أخذت تسعى وتعمل جاهدة لترقيتها (١٦٣) . وعن اليابان جاء في القرن التاسع عشر المسرح المتحرك الذي اخترعه عام ١٧٦٠ م (نيمكى شوزوس) ولم تعرفه مدينة ميونخ إلا في السنوات الأخيرة فقط . وفائدة هذا المسرح أنه يقضى على أوقات الفراغ التي كانت تقطع سلسلة تفكير الزوار الذين يتزهون فرصة تغيير مناظر المسرح وينصرفون إلى مختلف الأحاديث التي قد لا تتصل بموضوع المسرحية .

وأخذ

الغرب عن الشرق أيضاً كثيراً من العادات والتقاليد التي تجرى في حياته اليومية من وسائل تسلية وخرافات (١٦٤) فلعبة الشطرنج التي ينصرف إليها لاعبان وينسيان العالم الخارجي لعبة شرقية ، وقد ذكر (هابرلندت) (١٦٥) أن فرسان العصور الوسطى كانوا إذا ما جلسوا يلعبون الشطرنج ، أقرب إلى (هركوليس) أمام آلة الغزل من أى شخص آخر ، وذلك لأن هؤلاء الفرسان كانوا لا يهتمون من لعبة إلا ويقذفون بعضهم بالشخص . أما الوطن الأصلي لهذه اللعبة فبلاد الهند كما يدل على ذلك اسمها ويتبين من خصائصها . فالعالم الإسلامى يطلق عليها (شطرنج) وهو اسم مشتق من السنسكريتية (شطورنجا) أعنى أربعة أقسام ، أى جيش . وفى النص الفهاوى (مادهيجن شطرنج) (١٦٦) نقرأ خبراً عن الملك الهندى (ديوسرم) الذى أرسل إلى كسرى أنوشروان هذه اللعبة مكونة من ستة عشر شخصاً من الزمرد ومثل هذا العدد من الياقوت . ولعل أقدم إشارة عربية إلى هذه اللعبة قول ابن المعتز .

وحيطان كشطرنج صفوف فما تنفك تضرب شاه ماتا

ويذكر اليعقوبى فى تاريخه (ج ١ ص ١٠٣ طبع أوربا) :

فاجتمعوا على حكيم من حكمائهم (يقصد حكاء الهند) يقال له — قفلان — وكان ذا حكمة وفطنة ورأى ، فذكروا ذلك له فقال : أنظرونى ثلاثاً : ففعلوا ذلك . وخلا مفكراً ثم قال لتلميذ له : أحضرنى نجاراً وخشباً من لونين مختلفين أبيض وأسود : فصور صورة الشطرنج وأمر النجار فنجزها ، ثم قال له أحضرنى جلدأ مدبوغاً : فأمره أن يخط فيه أربعة وستين بيتاً ، ففعل ذلك فنصب ناحية ثم تجاوزوا حتى فهماها

فأحكاها ، ثم قال لتلميذه : هذه حرب بلا ذهاب أنفس : ثم حضره أهل المملكة فأخرجها لهم فلما رأوها علموا أنها حكمة لا يهتدى لها أحد . . الخ

وغير الشطرنج أخذت أوروبا عن الشرق (القرق) و (الدام) (١٦٧) ، لكن الشيء الجدير بالملاحظة أن المسعودى فى مروج الذهب (ج ١ ص ١٥٩ طبع باريس) يحاول إيجاد علاقة بين الشطرنج والفلك ، فهو يقول عند حديثه عن ملوك الهند : إن فى أيام الملك (بلهبت) صنعت الشطرنج ، وجعلها مصورة تماثيل متكلمة على صورة الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق ، وأقام لذلك أمثالا للأجسام العلوية التى هى الأجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر ، وأفرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للملكة . وليس المسعودى هو الوحيد الذى يذكر هذا الرأى فالبيرونى يقره أيضاً ووردت إشارتان فى الكتاب الثانى من بستان سعدى يفهم منهما أن فى القرن الثالث عشر كان يجوز ترقية الفلاح (العسكرى) الذى يبلغ صف العدو الخلفى إلى وزير (عند الغرب ملكة) (١٦٨) كما نقرأ فى نفس المصدر ما يفيد أن اللاعب الماهر قد يتنازل عن بعض شخصوه لخصمه الضعيف (١٦٩) . أما إباحة انتقال الملك إلى البيت الثانى بعد بيته يميناً أو يساراً وقفز الطايبية على الملك أشار إليه حافظ (١٧٠) . أما كلمة (شخ Schach) ففارسية الأصل وهى (شاه) معناها (ملك) وكلمة (مات) التى تستعمل فى ألمانيا فى عبارة (شخ مات) فهى العربية (مات) وقد ورد ذكر هذا الاصطلاح مرتين فى تاريخ اليعقوبى ص ١٠٣ حيث نقرأ (شاه مات) . أما الشخص الذى يطلق عليه فى ألمانيا (ملكة) فهو فى الشرق الوزير وذلك لأن الملكة الشرقية لا تنتقل بحرية بين الرجال كما هو الحال مع ملكة الشطرنج ، أما الاسم القديم فى أوروبا للطايبية فهو الذى مازلنا نجد فى الفرنسية (روك Roc) وفى الكلمة الألمانية (روشيرن rochieren) وهو اسم الطائر العظيم المعروف باسم (رخ) ويقال إن بيضه قد وجد فى مدغشقر .

ومثل

الشطرنج اللعبة المعروفة باسم (قفز الحصان) فهي أيضاً هندية الأصل

(١٧١) . ومن الشرق كذلك جاءت لعبة الدام والطاولة وألعاب

أخرى . ويعتقد (جوستاف شليجل) (١٧٢) أن لعبة الدام عرقتها الصين منذ زمن قديم جداً ، ويحاول هذا الباحث أن يثبت أنها ترجع هناك إلى الألف الثالث ق . م . وهذا رأى فيه نظر ، وهو يذكر أيضاً أن هذه اللعبة وجدت في (باكينج) تحت شجيرة ليون على قبر الملك (مو) من أسرة (تشي) (١٠٠١ - ٩٤٧) ق . م . وذلك في حفرة صخرية . ويعتقد أيضاً أن هذه اللعبة كانت في الأصل فلكية حتى قيل إن الشخص الذى يجيد حساب النجوم ومجارى الأفلاك يتقن هذه اللعبة وينبغ فيها . أما لعبة الطاولة فمتصلة بالطاولة التركية والزرذ الفارسية اتصالاً قوياً كما أشار إلى ذلك جورج يعقوب في مقدمة الجزء الخامس عشر من مطبوعات المكتبة التركية التى كان يتولى هو إصدارها . وتتبع (همل) تاريخ هذه اللعبة ونشأتها فانهى به البحث إلى أن وطنها الأصلي بلاد الصين (١٧٣) . أما اللعبة المنتشرة في ألمانيا والمعروفة باسم (كرديس) أو (بونين شبيل) فقد أثبت أخيراً راعى الكنيسة (فريتزيان) مدير (زيلهوفر) أنها ترجع إلى بلاد فارس (١٧٤) . وكان قد أرسلها الشاه من مائة عام مضت إلى القيصرية كاترين كما أرسلت إلى (كرديس) مجموعة أخرى منها ، وهناك استطاع (فريتزيان) مشاهدتها عند البارون فون شتخلبرج . وكان ذلك عام ١٩٠٨ . وقال (يان) أيضاً إنه فى نفس الوقت أخذت اللعبة الصينية المعروفة باسم (دومينو ماتسوباي) أو (مايهونج) تغزو العالم .

أما لعبة رأس السنة المعروفة في بروسيا الشرقية باسم (كليك أونديسيكن) فترجع إلى علم الفلك كما كان معروفاً في العصور الوسطى . أما الاسم الروماني القديم لهذه اللعبة فهو (نيب) فقد استعمل في إسبانيا في القرن الرابع عشر وأرجعه جورج يعقوب إلى الكلمة العربية (لعب) (١٧٥) . وفيما يتعلق بإبدال الحروف العربية في الإسبانية يرجع إلى اسم المدينة الإسبانية (نيبلا) فهي في العربية (ليبلا) كذلك الكلمة العربية (ليمون) فهي في البابلية (نيمون) . وفي العربية (لقب) أصبح (نقب) هكذا ذكر (سنوك هورجرونيه) في الكتاب الذي قدم لجولد زيهر . ويذكر (ى . ى . هس) أن كلمة (نيجف) عند عتبية هي (نجف) عند أولاد علي ويعتقد (نولدكه) أن اللعبة الواردة في قول عمرو بن كلثوم :

كَانَ سَيُوفِنَا مِثًّا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقٌ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا

تقرب من اللعبة الألمانية المعروفة باسم (بلومبساك) . وذكر ابن الفقيه (القرن العاشر) ص ٦٦ ما يؤيد هذا . وفيما يتصل باللعبة العربية فقد ذكرها (ت . كوفالسكى) في طبعته لقيس بن الخطيم ص ٣٠ — ٣١ كما عرض الشاعر التركي محمد توفيق تحت عنوان (حلوه صحبت) للعبة المنتشرة في تركيا والمعروفة باسم (تورا) وما هي إلا لعبة (بلومبساك) الألمانية . أما لعبة (فيشرستيشن) الشعبية والمنتشرة في إقليم الازراس فمصرية قديمة ، وقد عرفها الشعب المصرى في عصر الدولة القديمة (١٧٦) . والطائرات المصنوعة من الورق كلعب للأطفال صينية الأصل اخترعها الصينى (هن سين) (١٧٧) . عام ٢٠٢ ق . م . وهذه اللعبة في الصين أجمل منها في أوربا . فالصينيون يعنون بها عناية عظيمة ، فهم يقلدون الحيوانات والزهور ، وأحيانا تصنع على أن تخرج منها بعض النغمات الموسيقية بمجرد تعرضها للهواء في طبقات الجو المختلفة (١٧٨) . ومن الصين انتقلت حسب بعض الآراء

الشعبية إلى (كيبودشا) (١٧٩) . وكما أن هذه اللعبة هي تسلية الكبار (١٨٠)
والصغار في الشرق الأقصى كذلك الحال في تركيا حيث يطلق عليها الأتراك اسم
(كرتل) وقد انتقلت إلى أوروبا في النصف الثاني من القرن السابع عشر (١٨١)
عندما أخذت أوروبا تهتم بالصين ، والأسماء التي أطلقت عليها في بعض الممالك الأوربية
مثل الفرنسية (سرف فيولنت) أي الخنزير الطائر أو في الإنجليزية (كيت) أي حداة
تدلنا على نوع الحيوان أو الطائر الذي كانت تصوره هذه اللعبة في الصين وقت استعارة
أوروبا لها . ويرجع العالم الموسيقى (كورت سكس) الآلة الموسيقية المعروفة باسم
(بروم توفل) أو (فلد توفل) المنتشرة في بروسيا الشرقية والتي تعزف عادة
في رأس السنة إلى أصل هندي (١٨٢) .

والمصارعة المعروفة باسم (يويتسو) والتي انتشرت في ألمانيا عقب انتصار اليابان
ترجع في الواقع إلى اليابان التي كانت معروفة فيها منذ منتصف القرن السابع عشر
(١٨٣) .

ولود تحريم الإسلام للخمر ما انتشرت القهوة في العالم الإسلامي وانتقلت إلى أوروبا وقضت في ألمانيا على مشروب الألمان القديم (البوظة المعروفة باسم هرزبراي) واللفظة العربية القديمة (قهوة) تدل أصلاً على النبيذ ، ومن ثم تطور معناها مع الزمن عندما قضت على النبيذ وحلت محله . وأول مقهى أسس كان في القسطنطينية أسسه سوربان عام ٩٦٢هـ / ١٥٥٤ / ١٥٥٥ م تحت القلعة (١٨٤) وكتب (روفولف) عام ١٥٨٣ م متعجباً من هذا الشراب الأسود عند الأتراك فقال وجرت العادة في كل صباح وفي الأماكن العامة أن يجلس القوم وأمام كل فرد إناء فخاري أو صيني عميق وبداخله هذا الشراب الأسود الذي يشربونه ساخناً . كذلك الجزء الثاني من كلمة (كفيون) أعني (بون) هو تحوير شعبي للفظ العربية (بن) والتسمية القديمة التي أطلقت على شجيرة البن كما نجدتها في المراجع الأوربية القديمة هي (أربور بن كم فركتوس سورنا) ومنها أن لفظ (بون) لا علاقة له البتة بالكلمة الألمانية (بون فابا) أما (مكا) والصواب (مخا) فهو اسم الميناء التي اشتهرت قديماً بتصدير البن ، وفي الشرق يطحن البن طحناً ناعماً جداً و بعد ذلك تحضر منه القهوة دون وضع لبن عليها ، وغالباً بدون سكر ، وإذا استعمل فقليل . والقهوة إلى جانب كونها شراب منبه جداً و ضروري في الشرق الحار اللينيم فهي مغذية أيضاً وتدل إحصائية عام ١٩١٨ التي عملت في ألمانيا على أن عدد شاربي القهوة من الألمان أكثر من شاربي الجمعة أو الكونياك (١٨٥) .

ومنافس القهوة هو الشاي وقد أرسلته الصين إلى أوروبا في القرن السابع عشر

ويؤيد ذلك أن اسمه مكون من مقطع واحد أما اختلاف اسمه بين الهولنديين (تيه) والانجليز (تي) فيرجع إلى اختلاف في لهجتين صينيتين . فالهولنديون أخذوا الشاي من فرموزا . أما ألمانيا فقد عرفته عن طريق الهولندي (تولبيوس) وقد كان طيب أميرها الخالص ، وكان هذا الطيب مولعاً بشرب الشاي (١٨٦) . وقد أثر هذا المشروب ذو الرائحة الطيبة في الثقافة والمجتمع والاقتصاد والعلاقة بين الشرق والغرب تأثيراً بليغاً . وفي القرن السابع عشر نجد في اليابان جماعات لشرب الشاي تعرف باسم (شانويو) وكانت هذه الجماعات اليابانية تقوم بنفس الدور الذي تقوم به مثيلاتها في أوربا الآن ويجب ألا ننسى الشاي وضريبة استيراده التي دفعت أميركا إلى إعلان الحرب ضد إنجلترا والحصول على استقلالها (١٨٧) .

والاسم التركي القديم للبن المتجمد الذي كان شائعاً بين القبائل البدوية منهم والذي ما زال إلى اليوم الطعام المحبوب عند الأتراك العثمانيين أعني (يوغرت) عرفه الرحالة الغربيون الذين سافروا إلى الشرق ، وقد استوطن الطعام واسمه أوربا وهو غذاء لذيذ الطعم خال من المواد الكحولية لذلك اشتهر وذاع أمره . ويستخدم الترك عادة لبن الجاموس لتحضيره كما أن العنصر الأساسي اللازم لهذه العملية هو الذي اكتشف عام ١٩٠٦ واسمه باسيلوس بلغاريكوس (١٨٨) ، وأقدم نص جاء فيه ذكر هذا النوع من اللبن هو ذلك الذي نجده عند (كمفر) في مؤلفه (امونيتاس اكروتيك) حيث قال ما معناه : إن اليوغرت في التركيبة معناه لبن متجمد مقبول الطعم وفي الفارسية (مست) وفي بتافيا الهندية (تير) .

والشراب الفرنسي الوطني المسمى (ابزنت) جزأرى الأصل ، وهو يستخدم لتحسين طعم الماء الرديء . ويعتقد (نولدكه) أن اللفظ جاء من الفارسية (١٨٩) . أما الشراب المعروف باسم (عرق) فعربي التسمية (١٩٠) ، والشراب المعروف

باسم (بنج) فارسي الأصل فلفظ (بُنش) في الألمانية ما هو إلا اللفظ الفارسي الدال على العدد خمسة (١٩١) وذلك لأن هذا الشراب يعمل في الهند من خمس مواد (عرق ، سكر ، عصير الليمون ، توابل ، ماء) وقد أخطأ الشاعر (شلر) في قصيدته (أغنية البنج) فذكر أربعة عناصر فقط ونسى التوابل . وأقدم نص جاءنا هو الوارد في (هو بسون يوبسون (١٩٢) . أما الجعة فأصحابها هم المصريون ، وكانت شرابهم المحبوب فقد صنعها قدماء المصريين منذ عصور قديمة جداً ويستطيع العلماء أن يفرقوا أيام الدولة القديمة بين أربعة أنواع منها الجعة السوداء (١٩٣) ويعتقد (هورزني) (١٩٤) أن الجعة البابلية أقدم من المصرية ، ويرجح أن بابل عرفتها في وقت لن يكون أحدث من عام ٢٨٠٠ ق . م . وعن الشرق انتقل هذا الشراب وصناعته إلى الغرب . كذلك اللفظ الدال على النبيذ في اليونانية واللاتينية ساهى الأصل والرومان هم الذين قاموا بنشره كما نشروا الشراب وإن كان قد بولغ في تقدير مجهود الرومان في هذا الميدان ، وذلك لأن العنب كما يعرف من تقارير النورمانديين كان موجوداً في حوض الرين قبل تأسيس روما بزمن طويل ثم أن أجود أنواع العنب الألماني مثل (يوهنيسبرجر) لم يدخله الرومان بل عرفته ألمانيا في العصور الوسطى عن طريق الأديرة التي أخذته عن بلاد الشام .

أما

الزهرة البيضاء ذات الرائحة الطيبة والتي تدخل إلى النفس الفرح والسرور والتي تنتجها الحبة المعروفة باسم الحنطة السوداء وتغطي مساحات رملية واسعة تتغذى من رحيقها جماعات كبيرة من النحل فأصلها من منشوريا ، وقد جاء بها المغول إبان فتوحاتهم العظيمة . وإذا تنقل الرجل الأوربي الشمالى إلى إيطاليا ليمتع نفسه بطبيعتها الجميلة ومناخها المعتدل فأول نخلة يلقاها هى واحدة من نخيل شاطئ الفيرا وكل هذا النخيل يرجع إلى تلك النخلة التى أمر عبد الرحمن الأول بإحضارها فى القرن الثامن الميلادى من الشام إلى إسبانيا وأُنشد فيها أغنيتها المشهورة التى جاء فيها :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى فى التغرب والنوى وطول التنائى عن بنى وعن أهلى

أما السكر ووطنه فيرجعان إلى الأقاليم الشرقية الآرية فاللفظ الدال على معنى سكر فى السنسكريتية هو — كهندا — ومنها نجد فى الإيطالية — كنديرى — أى يطفى بالسكر ومنها اشتقت لفظة — كنديتور — أى صانع الحلوى . أما صناعة السكر فيرجع الفضل فيها للعرب ، فالعرب هم الذين جاءوا بالقصب إلى إسبانيا ويظهر أن إقليم البنغال هو وطنه الأصلي وإن كان (فون ليهان) يعتقد أن القصب البرى لا يمكن التأكد منه (١٩٥) ومن وطنه الأصلي ، ويذكر جورج يعقوب أن زميله (تشلار) أخبره أن النوع المعروف باسم (زخاروم سبونتارم) هو القصب البرى . أما صناعة السكر فقد اهتم بها الشرق منذ عصور قديمة جداً كما يرجح أن مدينة البندقية لعبت دور الوسيط بين الشرق والغرب . والكلمة المعروفة باسم (مرتسيبان) ليست مركبة

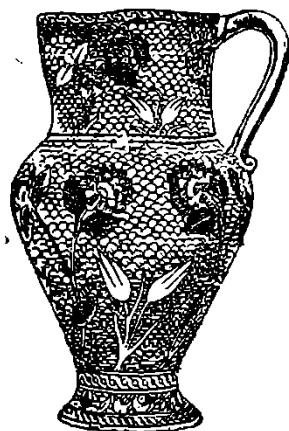
من (مرتسى وباتيس) أى (خبز مرقس) ، وهى أيضاً ليست الكلمة الفارسية (مرزبان) كما ظن آخرون بل هى عبارة عن الكلمة العربية (موثبان) أى (الملك أو الأمير إذا قعد ولم يخرج للغزو) وقد قال بهذا رأى (كليب) (١٩٦) أما حرف (ر) الذى نجده فى اللفظة المنتشرة فى أوروبا فقد دخل الكلمة عن طريق الإيطاليين . ومادة (وثب) تدل فى العربية الشمالية على معنى قفز وفى العربية الجنوبية نجد المعنى السامى القديم (جلس) وفى هذا المعنى تستعمل الكلمة أيضاً فى العبرية ، ويتندر العرب كثيراً عن الحوادث التى وقعت من جراء الاختلاف فى فهم هذه الكلمة ، فقد روى أن (زيد بن عبد الله بن دارم) وفد على بعض ملوك حمير فألقاه فى مُتَصَيِّدٍ له على جبل مُشرف فسلم عليه وانتسب له ، فقال له الملك « ثب » أى أجلس ، وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال « لتجدنى أيها الملك مطوّاعاً » ثم وثب من الجبل فهلك ، فقال الملك : ما شأنه ؟ فخبروه بقصته وغلطه فى الكلمة ، فقال : « أما أنه ليست عندنا عربيت : من دخل طَفَّار حَمَرٌ ^(١) : ويعتقد أيضاً أن العرب أطلقوا هذه التسمية على العملة البيزنطية لوجود صورة المسيح جالساً عليها واستعمله الشرقيون القاطنون على شاطئ البحر الأبيض المتوسط فيما بعد للدلالة على مكيال خاص ثم للتعبير عن صندوق ذى حجم خاص . وفيما يتصل بالخضراوات ، فالسبانخ دخلت أوروبا من فارس عن طريق العرب بإسبانيا ، واللفظ (ارتيشوك) فى الألمانية أو الإنجليزية والفرنسية (ارتيشوت) والإيطالية (ارتيشو) والإسبانية (الكرشوبا) هو فى العربية (الخرشوف) كذلك الأكلة الألمانية الشعبية المعروفة باسم (زور كروت) (١٩٧) جاءت عن الصقالبة فى العصور الوسطى ويرجح أنها أكلة شرقية . أما الوطن الأصيل لأهم التوابل فالشرق وما زال كثير من هذه التوابل المستعملة فى أوروبا يحمل اسمها الشرقى مثل (بفيغر) .

(١) الصحاح لابن فارس ص ٢٢

أثر الشرق أيضاً في حدائق أوروبا وحقولها وطرقها وشوارعها حيث تقوم على جوانبها أشجار الكستناء البرية، وفي الخريف تخرج ثمارها الوضاعة الجميلة، فقد جلب هذه الشجرة وغيرها من مختلف الأشجار والأزهار الأتراك عند تقدمهم من آسيا إلى أوروبا، وذلك أنه حدث أن مروا بكثير من الأقاليم الفارسية فأخذوا منها كثيراً من الزهور التي قوت في نفوس الأتراك حب الحدائق والغرام بتسويقها، وذلك لأن شهرة الفرس بهذا الضرب من الفنون قديمة جداً أشار إليها اليونان في سياق الحديث عن الأزهار والعناية بها. ولم تأخذ أوروبا عن الأتراك الغرام بالأزهار وتنسيق الحدائق والعناية بها فحسب، بل الرغبة في الزخرفة والتنسيق خاصة بالزرنخت والياسمين والشقائق وغيرها. وفي القرن السابع عشر نجد الهولنديين يولعون بهذه الزهرة حتى كانوا يتسابقون إلى دفع المبالغ العظيمة في سبيل الحصول على أندر الأنواع وأجملها كما كان الحال أيضاً في القرن الذهبي بتركيا، فالمؤرخ التركي المعاصر أحمد رفيق ألف كتاباً أسماه (Lale sefaheti) تحدث فيه عن الشقائق والمغامرة في سبيلها، فقد وصف الشاعر في كتابه هذا معتمداً على المراجع القديمة التي كانت تحت تصرفه ولع العثمانيين وجنودهم في سبيل اقتناء هذه الزهرة، أما لفظة (تولب tulipe) فهي الفارسية (دليند) ومنها اشتقت كلمة (تربان turban). ومن الزهور الأخرى التي أخذتها أوروبا عن الشرق أجمل وأحسن أنواع الورود، فالوردة الدمشقية جلبها الصليبيون من دمشق إلى فرنسا، ومنها انتشرت في أوروبا وقد ارتفعت قيمتها في ألمانيا لاستخراج زيتها (١٩٨)، أما بصيالات الزهرة المعروفة باسم

— كيزركرون — أو — في فريتيلا ريا امبريا ليس — فقد انتقلت في منتصف القرن السادس عشر من فارس إلى القسطنطينية ومن هناك إلى حدائق القيصر في فينا ومن ثم إلى سائر أجزاء أوروبا ، ويذكر (شومان) و (جلج) في كتابهما عن مملكة النباتات أن حدثاً جديداً طرأ على زراعة الورد واقتنائه بإدخال الأنواع الغريبة الجميلة التي تنبت في شرق آسيا والتي تنحدر في الأصل من الوردة المعروفة باسم الوردة الهندية (روزا أندیکا) فعن طريقها عرفت ألمانيا طائفة من الورود الجميلة التي تزين اليوم حدائق الورد الألمانية ، ومن بينها الوردة المعروفة باسم وردة (الشاي) ، وإذا ذكر الشرق وأثره في هذه الناحية يجب أن تذكر الصين حيث نجد هناك الزهرة المعروفة باسم (بايوني) كملكة للزهور ، وقد عرض للوردة (متياس يعقوب شليدن) في كتابه عن الوردة فذكر مجموعة من الورود التي انتقلت من الشرق إلى الغرب مع تواريخ استيطانها أوروبا وجاء في ص ٢٩٤ من نفس الكتاب أن عام ١٧٨٩ يعتبر من أهم الأعوام التي يجب أن تسجل في تاريخ زراعة الورود في أوروبا إلا أن عام ١٨١٠ أهم وأعظم ، وذلك لأن أوروبا أخذت في ذلك العام توجه عناية خاصة لتنظيم الحدائق وتنسيقها كما اهتمت بزراعة الوردة المعروفة باسم وردة (الشاي) التي هي عبارة عن نوع ينتمي إلى فصيلة الوردة المعروفة باسم الوردة الهندية ، فقد وصلت هذه الوردة في ذلك العام إلى إنجلترا كما جاءت عام ١٨٢٤ من كلكتا الوردة المعروفة باسم وردة الشاي الصفراء ، كذلك زهرة الكاميليا التي تسمى (تياجا بونيك) والتي هي قريبة من فصيلة وردة الشاي ، نزلت من وطنها الأصلي شرق آسيا إلى أوروبا في أواخر القرن السادس عشر (٢٠٠) ومن الصين جاءت أوروبا الشجيرات الجميلة التي تزين الحدائق والمتنزهات وخاصة ذلك النوع المعروف باسم (فورسيتيا) وتخرج شجيراته في الربيع زهراً أصفر يشبه لون الكبريت ، وفي منتصف القرن السادس عشر

انتقلت شجرة الكرز من ترابزنت إلى فينا كذلك الأسليح (عشبة تشبه الجرجير
تلت في الرمل وقيل هو نبات سهل ذو ورقة دقيقة لطيفة وسنفة محشوة حبا كحب
الحشخاش) (كتاب النبات والشجر للأصمعي ص ٣٠) ذات الرائحة الجميلة جاءت
من مصر ويقال إنها انتقلت عام ١٧٥٢ من أفريقيا إلى إنجلترا .



الشرق أخذت أوروبا كثيراً من الحيوانات مثل الكلب الصيني الصغير **وعن** الجسم الذي انتقل إلى إنجلترا ، ويطلق عليه الإنجليز (شين) كما انتقلت من خراسان إلى فرنسا عام ١٥٢١ أنواع القطط المعروفة باسم أنقرة . وجلبت إنجلترا عام ١٦٩١ السمك الأحمر . أما تربية الديوك البرية ، فقد انتشرت في أوروبا انتشاراً كبيراً حتى أنه كان يكاد لا يخلو منها بيت أمير خاصة أيام اهتمام أوروبا بالصين وشغف الغربيين بكل ما هو صيني . ويظهر أيضاً أن العناية بالصقور جاءت إلى أوروبا عن طريق الشرق ، ففي اليابان نجد صيد الصقر يظهر أيام حكم القيصر (ننتوكوتنو) (٣١٣ — ٣٩٩ م) (٢٠٢) . والتاريخ يحدثنا أن فريدريش الثاني من أسرة هوهنزولرن وجه اهتماماً كبيراً إلى الصقور وكان في اهتمامه هذا مقتدياً بالعرب ومعجباً باهتمامهم بها حتى استخدم القلائس لأجل الصقور والدجاج . والطاووس من طيور الهند . أما وطن معمل التفريخ فمصر وعن الأخيرة أخذت أوروبا هذه الصناعة كما جاء هذا في كتاب أسفار (ريتز) فقد تحدث صاحب هذا الكتاب عن رحلة قام بها لمصر عام ١٤٦٠ م وجاء في وصف هذه الرحلة : وغير بابلون نجد مصر القديمة وهي مدينة توجد بها معامل كثيرة للتفريخ ، وذلك بوضع البيض في أفران ذات حرارة خاصة وبعد مضي زمن تقفص الكتاكيت وتعرض للبيع . . . ونفس هذا الخبر يذكره (جريملاهوزن) على لسان (سيمبليتيسيموس) الذي أرسله إلى مصر عام ١٦٩٩ م . وفي القرن الثامن عشر نجد (أدلينج) يكتب مقالا عن الحمام الزاجل يعترف فيه أن الشرق سبق الغرب في استخدامه ، والواقع أن مصر عرفته قبل أوروبا بما لا يقل

عن ألف عام (٢٠٣). ومن المناظر المصرية القديمة التي عثر عليها تلك التي تفيد أن هناك بعض الحيوانات المستأنسة مثل السمّع والفيل الأفريقي الذي استأنسه اليونانيون. وهذان الحيوانان إذا استثنينا الفيل الهندي من الحيوانات البرية اليوم. وتستخدم قبائل القرغيز النسر الكبير، ويستخدم الفرس أنواعاً مختلفة من البوم في الصيد، واليابانيون نوعاً من السمك يعوم ويغطس، وقد قلده بعض سكان جنوب حوض الرين. والتاريخ يحدّثنا أيضاً كيف أن قدماء المصريين استأنسوا أنواعاً كثيرة من الأوز. ويستخدم علماء الصين وفنانوهم القرود لسحق الألوان وحمل الماء كما استخدمها قدماء المصريين في حمل آنية المراهم والعطور للسيدات أو للسير خلف الرجال، مثلها كمثّل الكلاب اليوم، وفي غير هذه الأغراض استخدمت في مصر أيضاً في جنى التين من الشجر وتسليمه للرجال لوضعه في السلال (٢٠٤). أما ما عرّفه أنقرة الشهير فلم يرد له ذكر في المصادر الأوروبية القديمة مما يرجح فكرة أن الترك هم الذين جاءوا به إلى آسيا الصغرى. وأغنام مرينو فهي كما يدل عليها اسمها قد أخذت عن بني مريّن المقيمين في جوار تلمسن (٢٠٥). والحصان العربي أجود أنواع الخيول، وإذا ذكرت هذه الأشياء وجب ألا تنسى مجهودات الأجيال السابقة التي بذلت في سبيل تهذيبها وترقيتها.

لكن ليست فقط مناظر أوروبا الزراعية هي المتأثرة بالشرق بل الطبيعية أيضاً فقد جرت العادة أن بعض الأعشاب والحشائش تنتقل مع الشعوب، وتقتفي أثر الجيوش، ولا أدل على ذلك من أن العشب المعروف باسم (أويسيلديوم) السوري عبارة عن تزاوج بين وردة أريحا ونبت آخر قريب منها، وهذا العشب كثير الانتشار في المناطق الممتدة من حصون الحجر حتى أسوار فينا، حيث كانت تنتهي حدود الدولة العثمانية الأبدية. أما بذور هذه الأعشاب فلم تبذرهما يد إنسان بل أكياس

علف الخيول ، فهي التي حملتها من مواطنها الأصلية ، وهي التي حافظت عليها طول تلك المسافات الشاسعة ، وهي التي قامت ببذرهما . وقد قام الأستاذ (زمرمان) بدراسة دقيقة وافية لهذه الأعشاب فبدأ بأما كن نزول العجر وتبع انتشار هذه الأعشاب حتى بلغ وطنها الأصلي وهو بلاد الهند الشرقية التي منها خرجت تلك الشعوب العجرية واتجهت نحو أوروبا . كذلك يقال إن زهرة اللوتس المصرية جاء ببذورها طائر مائي أثناء هجرته وهي تنبت الآن في — دوتسنتيش — بمدينة نور نمبرج بألمانيا ولو أنها تجمد في الشتاء . وفي العصر الجليدي لم توجد في ألمانيا الفراشة ، وقد هاجرت إليها من جنوب سيبيريا في فترات متقطعة . كذلك الطيور فلولا الصيد يسقطها لأصبحت لدى الغرب مجموعات كثيرة من طيور متعددة الألوان لجأت إلى أوروبا لتبحث لها عن وطن جديد ، أما الطائر المعروف باسم الكوكوك فقد عرفته ألمانيا منذ عصور قديمة جداً مما يدل على أن انتقاله إلى تلك البلاد كان منذ أزمنة بعيدة ، وينتمي هذا الطائر إلى فصيلة مختلفة الألوان تشتمل على ما يقرب من مائتي نوع .

وليس

فقط كساء الأرض قد جاء أوروبا عن الشرق بل كساء الإنسان
في بعض المستنقعات والمحفوظة الآن بمتحف (كيل) للآثار القومية القديمة . فبعض
هذه الأقمشة — كما ثبت أخيراً — صناعة محلية وبعضها الآخر مستورد من أمريكا
وتلك الملابس لا تمت إلى الملابس اليونانية أو الرومانية بصلة ما ، وعلى العكس
فهى تختلف عنها اختلافاً بيناً . أما السراويل كما تظهر من ملابس هذه الجثث
فشرقية قد ترجع إلى فارس ، ولا نجد ما يشبهها عند الشعوب الأوربية القديمة .
والملابس الشعبية الزاهية والمتعددة الألوان تذكرنا كثيراً بالملابس الصقلبية الشرقية .
والسيدات الألمانية يتحدثن عن الـ (كيمونو) ، وعن أكامه ، وقد جاءت هذه
الملابس وهذا النوع من صناعاتها عن اليابان خاصة عقب انتصارها على روسيا ، كما
أن السيدات الألمانية أخذن عن اليابانيات طرق ترتيب الشعر وتزيينه . ومن
نصف قرن مضى كان البشليق التركي كثير الانتشار كما كانت شيلان الكشمير
رأجة بين أفراد الجيل السابق . واليوم نجد القميص (البلوز) البلغاري ، وقبعات
السيدات تزين بريش طيور شرقية كعصفور الجنة أو الطاووس ، والهند ما زالت
إلى اليوم تصدر ريش الطاووس ، كما كانت تفعل في العصور الوسطى ، وضافت
الشعر التي لبسها الرجال خاصة الفرسان ورجال الجيش قد تكون صينية الأصل .
وقد ثبت أخيراً أن الشرق أسبق من الغرب إلى معرفة النظارة ، أما الأحجار التي
استخدمها القياصرة الرومانيون فلم تكن عدسات ، إذ أن أول من عرف العدسة

النظاراتي العربي الشهير ابن الهيثم . أما أوربا فلم تعرفها قبل عام ١٢٧٠ م . وقد أثبت (برتولد لوفر) في بحثه القيم عن تاريخ النظارة (٢٠٦) أن الصين عرفت النظارة منذ زمن بعيد عن طريق التركستان ، وهو يرجح أن الوطن الأصلي للنظارة هو بلاد الهند . ومن الملابس الرسمية القديمة نذكر القلبق الذي هو جزء من غطاء رأس الفرسان واسمه يدل على أصله الشرقي ، وهو مأخوذ من الجزء المتدلى من غطاء الرأس عند جنود الانكشارية ، وقد فهم قديماً خطأ بأنه كم الحاج بكتاش (٢٠٧) ويرجح أن هذا القلبق جاء عن طريق فرسان الجرا أو فرقة الانكشارية البولونية ، ويجب ألا يغيب عن ذهن الألمان أن في جيشهم فرقة بروسية تركية الأصل مطلع نشيدها :
نحن أولان بروسيا من يجهلنا .
إننا مشهورون في تاريخ الحروب .

فاللفظ التركي معناه (شاب) والذي حدث أن الجراف (بريل) فكر يوماً ما في محاربة فريدريش الأكبر ، فقرر لتنفيذ فكرته هذه الاستعانة بفرسان بولونيين ليقوموا بمهاجمة فريدريش هذا لکن في اللحظة الأخيرة قرر الاستعاضة عنهم بفرقة من حملة المزاريق من البوسنة ، ويطلق على أفرادها البوسنيك أو (أولان) وأحضرهم إلى درسدن . لکن حدث أن الجراف بريل أخلف وعده ، ولم يبق أمام هؤلاء الجنود إلا تركه والانضمام إلى جيش عدوه فريدريش الأكبر حيث كونوا الفرقة المعروفة باسمهم ، والتي ما زالت تعرف في الجيش البروسي بفرقة الأولان (٢٠٨) . وأسلحة هذه الفرقة تشبه سلاح الفرقة المرتقة الموجودة في الجيش التركي والتي تعرف باسم (صباهي) والتي يمتاز سلاحها بهذه الراية الصغيرة . وهنا أقدم صورة مأخوذة عن رسم يرجع إلى القرن السادس عشر وهو محفوظ في نحاس محفوظ بدرسدن بمتحف الآثار النحاسية ، ويرجح أنه من عمل (لوريش) (٢٠٩) .





أما الصورة الثانية فتمثل (أولان) من الحرس السكسوني .

عاج جورج يعقوب مسائل قليلة ، وترك عمداً فصولاً كاملة تتعلق بالعلوم الطبيعية والطب والتاريخ والفلسفة والتصوف ، وذلك لأن العلامة (إلهرد فيدمان) أستاذ جامعة (أرنلجن) عاج هذه المواضيع كخير عالم يعتقد في نفسه الكفاءة اللازمة لدراستها ، وعلاوة على استعداده الفطري واطلاعه الواسع ، فقد صرف سنوات عديدة متتبعاً هذه البحوث حتى لم يترك زيادة لاستزيد ، فمؤلفاته الفنية حول تاريخ العلوم الطبيعية التي نشرت في أبحاث جمعية العلوم الطبيعية والطبية بمدينة «أرنلجن» تربو على السبعين ، وتكاد لا تخلو مجلة من مجالات العلوم الطبيعية وما إليها من بحوثه المستفيضة الدقيقة التي تعني خاصة بالناحية التاريخية معتمدة بصفة خاصة على المصادر العربية .

ويقول جورج يعقوب إنه ما جمع هذه المعلومات ، ولا قام بهذه الدراسات إلا ليخدم العلم والحقيقة ، ويقاوم هذا التيار الخاطيء الذي ينسب كل شيء إلى العالم القديم إلى اليونان واليونانيين كما يتبين ذلك واضحاً من الكتاب الذي نشره (توينر) أخيراً واسمه من القديم إلى الحديث .

ويلح جورج يعقوب في ألا يتبادر إلى ذهن القارئ في أنه ما كتب هذا الكتاب إلا ليجعل من الشرق جنة ومن اليونان جحيماً . والواقع أن أوربا إذا أرادت أن تعني بدراسة ثقافتها وحضارتها وتقف على العناصر المكونة لها والتي مدتها في كل تلك العصور بالحوية الضرورية اللازمة لها ، وجب عليها أن تعني بالعناصر الأمريكية والأوربية والكلتية والشالية ، فما كانت ثقافة شعب من الشعوب قائمة على عنصر واحد فقط ، وما كانت هذه الثقافة نتاج عقلية شعب واحد بمفرده بل هي عبارة عن مجموعة عناصر لمجموعة من الشعوب . والبحث العالمي يجب ألا يصنع بصنعة القومية

المتعصبة بل يجب أن يسمو ويصبح عالمياً . وكما أن عالم النبات لن يستطيع أن يقصر دراسته على أسرة نباتية واحدة كذلك الحال مع سائر العلماء سواء منهم عالم اللاهوت أو اللغات أو الفنون فإن العالم من هؤلاء وأمثالهم إن لم يكن ملماً بأطراف بحثه وخبيراً بكل ما يتصل به خرج بحثه ناقصاً مشوهاً .

والحقيقة التي يجب أن يشار إليها هنا هي أن الإنسان يجب عليه ألا يخلط بين المثل العليا والحقيقة ، فإدخال الفلسفة اليونانية في مدارس الجنناز يوم الألمانية أضر أكثر مما أفاد وذلك لأن دراسة هذه الفلسفة كانت قاصرة على قراءة ما يقرب من ثلث (پروطاغوراس) لأفلاطون في اليونانية مع وجوب العناية بالمسائل السطحية فقط . أما فيما يتعلق بالدراما وقيمتها فلم تكن فكرتها واضحة لا عند المدرس ولا عند التلميذ . إذ كان ينقضى الفصل الدراسي ولا يخرج التلميذ إلا بقراءة بعض صفحات (أياس) . أما الثقافة اليونانية أو الفن اليوناني فلم يدرس الطالب عنهما شيئاً . لكن كم تكون الفائدة التي يجنيها الطالب عظيمة لوغير هذا النظام وحل محله نظام آخر يمكن التلميذ من الاطلاع على عدد من التراجميات والكوميديات اليونانية لكن لا في لغتها الأصلية بل مترجمة كما فعل جوته وشيللر ، وتصرف العناية إلى فهمها ودراستها دراسة عميقة . إن مثل التلميذ وهو خاضع لهذا النظام العقيم كمثل رجل من الإسكندرية قرآن يقوم برحلة إلى الأقصر فأنفق معظم نقوده في الاستعداد للرحلة ولم يتبق له من مال أو زمن إلا ما يسمح له بالوصول إلى أسيوط . التلميذ يعني في المدرسة بأمثال (سرفيوس تليوس) و(تلوس هوستيليوس) ومن إليهما من قادة الفكر الروماني عند دراسة اللاتينية والفرنسية والتاريخ ، وقد يحتاج إليهما وإلى أمثالهما في دراسة اللغة الألمانية أو العربية أيضاً ، وهو يعتقد في نفس الوقت أن هذه الدراسة باطلة يخرج منها وهو ما زال متعطشاً إلى دراسة أشياء أخرى أنفع له وأجدى مثل

تلك الأحداث التاريخية العظيمة كقيام المستعمرات الهولندية أو الإنجليزية أو تطور أمريكا أو الشرق الصقلي ، وفضلا عن هذا فالعناية التي توجه إلى هذه الدراسات الكلاسيكية لا تضعف من الشعور القومي فحسب بل تشيد حائطاً يفصل بين أفراد الشعب ، وذلك باستخدام بعض الألفاظ التي يرمى أصحابها إلى التفرقة والتحدق وهذه المفردات تحدث فجوة في اللغة ، وفي التفكير ، كما تفسد الدراسة الكلاسيكية الذوق الأدبي والفني ، وذلك لأن أحد الأدباء قد تسول له نفسه الكتابة في أسطورة ميتة لا يستسيغها ذوق سليم ، ولا روح فيها ، والواقع أن المؤرخين يزيفون التاريخ لو حاولوا تجميل القبيح وتشويه الحقائق كما فعل مؤرخو الرومان مدفوعين بعامل الهوس القومي والجنون الوطني كما يتبين ذلك من المصادر الموجودة اليوم . ومن الجدير بالذكر أن في الشرق تكونت الموجات الثقافية العالمية التي أدت إلى هذه الأحداث التاريخية العالمية التي جهلها كتاب العالم الكلاسيكي وشعراؤه (٢٠٨) ، وكان من نتائج تلك الموجات أن هاجرت شعوب وكأخت حتى حطمت ذلك العالم القديم وأقامت على أنقاضه هذه الدول التي تتصرف الآن في مصائر العالم . ولما كان فهم خصائص الشعب حقيقة لا بد منها لفهم ثقافته وتاريخه أدر كنا عدم إلمام العالم القديم بتلك الحركات الفكرية والموجات الثقافية التي كان مركز هبوبها الشرق (٢٠٩) . ولعل السر في هذا هو جهل شعوب العالم الكلاسيكي باللغات الأجنبية التي هي المفاتيح الوحيدة التي توصل الباحث إلى نفسية الشعوب وفهم تقاليدها والإلمام بعلمها نظرية كانت أو عملية (٢١٠) وليست اللغات فقط هي التي جهلتها تلك الشعوب بل العلوم الطبيعية أيضاً القائمة على التجربة والملاحظة . فالتاريخ يحدثنا مثلاً أن أرسطو اعتقد أن في استطاعته تخليص ماء البحر من ملوحته عن طريق إناء من الشمع (٢١١) . إن البشرية في حاجة ماسة إلى التزود بمختلف الأسلحة لمواجهة الحياة ومتاعها

وفي حاجة إلى أفق أوسع ونظرة للحياة أخرى غير تلك التي نجدها فيما يسمى (هيومايزم) وليس لدينا من الوقت ما يسمح لنا أن نمضي زمناً طويلاً وأعواماً كثيرة في سبيل دراسة حروب السبديين والبسنتيين بينما نهمل الأحداث التاريخية العالمية. إن اشتقاق كلمة (هيومايزمس) غير واضح، ومدلولها غامض، ومجرد التفكير في هذه الكلمة قد يؤدي إلى توارد أفكار خاطئة. فالليونان الأقدمون جهلوا أو لم يصلوا إلى كلمة تعبر عن الإنسانية وأولئك الذين يستخدمون لفظ (هيومايزمس) يحاربون في الواقع لأجل الوصول إلى مثل عليا نجدها واضحة جلية في الصين، ولا يقصد المؤلف هنا أن يقارن بين اليونان والصين، ولا أن يقول إن الصين هي وطن المثل العليا، وذلك لأن مثل هذه المقارنات قد تؤدي إلى قيام مثل هذه الفكرة التي تجول بخاطر كثيرين من الأوربيين، وهي أن كل اثنين من الألمان إذا اجتمعوا فإما يمتحن أحدهما الآخر أو يعده للامتحان، ومن الجدير بالذكر أن الجراف (كيزرلينج) دهش عندما رأى أن المعبد الصيني لا يقل روعة عن المعبد اليوناني، وأن فكرة الإنسانية سائدة في الصين سيادتها في بلاد اليونان (٢١٢) وقد ذكر هذا الجراف في كتابه رحلة فيلسوف: يقرر لغويو أوروبا أن الدراسات الكلاسيكية على جانب عظيم من الأهمية، وأن الشخص المثقف ثقافة كلاسيكية هو الذي يجيد اليونانية واللاتينية، والخبير بشيشرون. وهذا الشخص فقط هو الذي يستطيع أن ينهض بكل ضروريات الحياة ومطالبها لكن هذا خطأ ولا يطابق أوروبا، وذلك لأن عقلية اليونان أو الرومان ليست عقليتنا... ولا يقتصر المؤلف على العبارات بل يقرر أموراً أخرى يجدها المطلع على كتابه الذي ألفه بعد قيامه برحلته العالمية التي مكنته من هذه الدراسة العميقة الدقيقة، كما أدرك الزاوية الضيقة التي انحصرت فيها الثقافة الغربية. فالإنسان اليوم والجرماني بصفة خاصة يفهم المثل الأعلى للفظ (إنسانية) على أنه التطور الشامل

لكافة الشعوب مع منحها كل الوسائل الضرورية لبلوغ هذا التطور ولا أصدق من كلمة (مهامة) للتعبير عن هذه الرغبة . إننا نرجو أن تحقق عبارة (إنسانية) كما نفهمها نحن أبناء هذا الجيل أعنى أن تزول الفوارق بين الشرق والغرب وألا يحول اللون دون تحقيق المساواة بين سائر البشر .

في حدود هذه المواضيع عرض المؤلف لبحث أثر الشرق في الغرب وفي حدود هذه المواضيع أيضاً تصرفت أنا في ترجمة الكتاب وفي إعداده في صورته الحالية التي تتفق وتاريخ إخراجها . أما سائر المواضيع الأخرى سواء منها تلك التي أشرت إليها في ثنايا هذا الكتاب أو لم أشرف قد تركتها جانباً راجياً أن تتاح لي الفرصة في المستقبل لأقدمها مستقلة للقارئ العربي .

ولا يفوتني أن أقدم جزيل شكري للجنة البيان العربي لقيامها بنشر هذا الكتاب ولطبعة بنك مصر للمجهود الذي بذلته لإخراجه في أحسن صورة ممكنة .



بعض مصادر الكتاب

- ١ — KARL SCHUCHARDT : *Alteuropa*, 1919.
- ٢ — LEO FROBENIUS : *Vom Kulturreich des Festlandes*, 1923.
- ٣ — *Reallexikon der germanischen Altertumskunde*, Art. Getreide.
- ٤ — *Verhandlungen der Berliner Gesellschaft für Anthropologie, Ethnologie und Urgeschichte*, Jahrg., 1877.
- ٥ — G. BERENDT : *Die pommerlischen Gesichtsurnen*, Band 1, 1872.
- ٦ — *Nachrichten über deutsche Altertumskunde*, 1891, Heft 4.
- ٧ — H. CONWENTZ : *Das westpreussische Provinzial-Museum*, 1905, Tafel 57.
- ٨ — *Der anthropologischen Sektion der Danziger Naturforschenden Gesellschaft*, 1885.
- ٩ — v. MARTENS : (*Cypraea pantherina*).
- ١٠ — Globus 1874 ; ANDREE, *Geographie des Welthandels*, 1. Band.
- ١١ — *Hildebrands Teekninger ur Svenska Statens Historiska Museum*, Heft 3.
- ١٢ — Ibid.
- ١٣ — Archives d'études orientales Vol. 8, Upsal 1914.
BERTHOLD LAUFER : *The Bird Chariot in China and Europe*, 1905.
- ١٤ — Tiesenhausen im 3. Bande der Wiener Numismatischen Zeitschrift, 1871
- ١٥ — PRAGORT : *Samarqand*.
- ١٦ — Rapport des séances annuelles de la Société Royale des antiquaires du nord 1838-1839.
- ١٧ — NÖBBE : Münzfunde aus dem 8 — 10. Jahrg., 1923.
- ١٨ — JULIUS FRIEDLAENDER : *Der Fund von Obrzyeko*, 1844.
- ١٩ — HUGO GRESSMANN : *Vom reichen Mann und armen Lazarus*, 1918.
- ٢٠ — OSKAR MUENSTERBERG : *Chinesische Kunstgeschichte*.
- ٢١ — E. DIEZ : *Studien zur Kunst des Ostens*, 1893.

- 22 — REIZENSTEIN : *Histor. Ztschr.* 126, S. 30.
 23 — *Ibid.*
 24 — TH. SCHULTZE : *Der Buddhismus als Religion der Zukunft.*
 25 — H. WINCKLER : *Die babylonische Kultur in ihren Beziehungen zur unsrigen, 1902.*
 26 — BROWNE : *A Literary History of Persia.* 1902.
 27 — F. KLUGE : *Die Heimat der Brieftaube.* Frankfurter Zeitung, Januar 1906.
 28 — REICHWEIN : *China und Europa, 1923.*
 29 — E. LITTMANN : *Morgenländische Wörter im Deutschen, 1920.*
 30 — JDELER : *Untersuchungen über den Ursprung und die Bedeutung der Sternnamen, 1809.*
 31 — CARL SCHUZE : *Die biblischen Sprichwörter der deutschen Sprache.*
 32 — Exodus 6,23
 33 — BOCK : *Die Kleinodien des heiligen römischen Reiches deutscher nation, 1864.*
 34 — G. JACOB : *Märchen und Traum.*
 35 — HANS NAUMANN : *Primitive Gemeinschaftskultur, 1921.*
 36 — LIDZBARSKI : *Der Ursprung der nord- und südsemitischen Schrift.*
 37 — G. BÜHLER : *Indische Palaeographie, 1896.*
 38 — R. STÜBE : *Der Ursprung des Alphabets und seine Entwicklung, 1922.*
 39 — K. SETHE : *Die neuentdeckte Sinai-Schrift. 1918.*
 40 — V. BISSING : *Die Datierung der Petrieschen Sinaiinschriften. 1920.*
 41 — TH. NÖLDEKE : *Delectus veterum carminum Arabicorum.*
 42 — WÜNSCHE : *Der Babylonische Talmud, 1886.*
 43 — TH. NÖLDEKE : *Geschichte des Qorans, 1936.*
 44 — M. HABERLÄND : *Zur Geschichte der Null.* Osterr. Monatss. f. d. Orient 189.
 45 — ED. SELER : *Gesammelte Abhandlungen zur amerikannischen Sprach- und Altertumskunde.*
 46 — Compare english "cipher".
 47 — KARL KRUMBACHER : *Woher stammt das Wort Ziffer?*

- ११ — F. WOEPEKE: *Mémoire sur la propagation des chiffres indiens*,
 J. A. VI. Série, 1863.
- १२ — Revue archéologique, 1879.
- १३ — LEGARDE: *Woher stammt das(x) der Mathematiker*, 1884.
- १४ — *Sur l'origine des nos chiffres*. lettre de M. L. Am. Sédillot
 à M. le prince Balthauser Boncompagni, 1865.
- १५ — *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes*, 1905.
- १६ — *Journal of the Asiatic Society of Bengal*, Vol. VII.
- १७ — *Bühlers indischer Palaeographie*.
- १८ — GOTTHOLD GUNDERMANN: *Die Zahlzeichen*, 1899.
- १९ — Ja'qûbîs Geschichtswerk.
- २० — HERMANN SCHUBERT: *Zählen und Zahl*, 1887.
- २१ — J. SCHMIDT: *Die Urheimat der Indogermanen und das euro-
 päische Zahlssystem*, 1890.
- २२ — H. VOGT: *Haben die alten Inder den Pythagoraischen Lehrsatz*,
 1906.
- २३ — A. WYLIE: *Magnetic Compass in China*, 1897.
- २४ — E. WIEDEMANN: *Zur Geschichte des Kompasses bei den Arabern*.
- २५ — BÄVERU-JĀTAKA: *Jātakam übers. von Dutoit*.
- २६ — Landnāmabòk.
- २७ — LÉOPOLD DE SAUSSURE: *L'origine de la rose des vents et
 l'invention de la boussole*.
- २८ — DE GOEJE: *Quelques observations sur le feu Grégois*, 1904.
- २९ — E. V. LIPPMANN: *Entstehung und Ausbreitung der Alchemie*,
 1919.
- ३० — J. v. ROMOCKI: *Geschichte der Explosivstoffe . . .*, 1895.
- ३१ — *Zeitschrift für Naturwissenschaft*, Bd. 71, 1898.
- ३२ — Stansislus Julien bei Reinaud et Favé, du feu grégeois. . .
 J. A. 1849.
- ३३ — RASCHIDEDDÏN: ed. Quatremère, Paris 1836.
- ३४ — E. WIEDEMANN: *Beiträge zur Geschichte der Naturwis-
 senschaften*, 1906.
- ३५ — O. GUTTMANN: *Das älteste Dokument zur Geschichte des
 Schiesspulver* *Zeitschrift für angewandte Chemie*, 1904.
- ३६ — FURTWÄNGLER: *Antike Gemmen*.

- 74 — F. HIRTH: *Die Erfindung des Papiers in China*, 1890.
 75 — GLOBUS: Bd. 82, 1902
 76 — KARABACEK: *Das Arabische Papier*.
 77 — WIENER SITZUNGSBER: Philos. hist. Klasse, 148. Band 1904.
 78 — R. KOBERT: *Über das älteste in Deutschland befindliche echte Papier*, 1911.
 79 — KARABACEK: *Das arabische Papier*.
 80 — J. WIESNER: *Die Faijümer und Uschmüneiner Papiere*, 1887.
 81 — Grünerts Arabische Lesestücke.
 82 — CICERONE: 15. Jahrg. Heft 22, November 1923.
 83 — HEINRICH SCHURTZ: *Urgeschichte der Kultur*.
 84 — R. FORRER: *Les Imprimeurs des Tissus*, 1898.
 85 — Hampes Katalog der Gewebesammlung des Germanischen Nationalmuseum.
 86 — KARABACEK: *Führer durch die Ausstellung* (Papyrus Eazherzog Rainer), 1891.
 87 — Transactions of the Asiatic Society of Japan, Vol. X, 1882.
 88 — Kwanho zattschô und Kokoku schobatsu.
 89 — Schiûko zissshiu, Band 1.
 90 — Journal of the China Branch of the Royal Asiatic Society, 1885.
 91 — Erdkunde, 2. Teil, 1832.
 92 — G. KUTH: *'Jigs-med nam-mk'a*, 1896.
 93 — Abhandlungen der königl. Preuss. akad. d. Wiss. 1910.
 94 — B. LAUFER: *Zur buddhistischen Literatur der Uiguren*, 1907.
 95 — Oesterreichische Monatsschrift für den Orient, 1890, Jahrg, 16.
 96 — Ibid.
 97 — KLAPPROTH: *Lettre à M. le baron A. de Humboldt sur l'invention de la boussole*, 1834.
 98 — WITTENBACH: *Schriftwesen in Mittelalter*.
 99 — T. O. WEIGEL und A. ZESTERMANN: *Die Anfänge der Drucker-kunst*, 1866.
 100 — O. MÜNSTERBERG: *Chinesische Kunstgeschichte*.
 101 — P. KRISTELLER: *Kupferstich und Holzschnitt in vier Jahr-hunderten*.

- 102 — Zentralblatt für Bibliothekswesen, 12 Jahrg.
 103 — Wegweiser durch das Germanische Museum, 1901.
 104 — Elementum, 1899.
 105 — G. ZEDLER: *Von Coster zu Gutenberg*, 1921.
 106 — WATTENBACH: *Schriftwesen im Mittelalter*.
 107 — GUTENBREG: *Festschrift*,
 108 — Journal Asiatique, IV. 1847.
 109 — Transactions of the Asiatic Society of Japan X, 1882.
 110 — Ibid.
 111 — H. WINKLER: *Die babylonische Kultur in ihren Beziehung zur unsrigen*, 1902.
 112 — Journal Asiatique, 1822.
 113 — QUATREMÈRE: Notes et extraits XIV.
 114 — Vullers Lexicon Persico-Latimum s. v. 'amel.
 115 — M. WEBER: *Gesammelte Aufsätze zur Religionssoziologie*, 1920.
 116 — GRASSHGF: *Das Wechselrecht der Araber*, 1899.
 117 — REICHWEIN: *China und Europa*, 1923.
 118 — Ibid.
 119 — Ibid.
 120 — Friedrich Carl Andreas Festschrift, 1916.
 121 — A. NEUBERGER: *Die Technik des Altertums*, 1919.
 122 — Reins Japan, 1886.
 123 — SARRE: *Islamischs Bucheinbänden*, 1923.
 124 — REICHWEIN: *China und Europa*, 1923.
 125 — Die Lackindustrie in Ispahan schildert Thevenot, 1727.
 126 — REICHWEIN: *China und Europa*, Berlin 1923.
 127 — GRAUL: *Ostasiatische Kunst und ihr Elnfluss auf Europa*.
 128 — Ibid.
 129 — Ibid.
 130 — LEHMANN-HAUPT: *Zur Herkunft der ionischen Säule*, 1913.
 131 — Die Abb. 26, 28 bei Puchstein.
 132 — Münchner Jahrbuch der Bildenden Künste, 1913.
 133 — Neue Jahrbücher für das klassische Altertum, 8. Jahrg., 1905.

- 134 — A. GOSSET : *Les couples d'Orient et d'Occident*, 1890.
- 135 — DIEZ : *Studien zur Kunst des Ostens*, 1923.
- 136 — HASAK : *Die Entstehung der islamischen Baukunst*, 1920.
- 137 — STEINRECHT : *Schloss Marienburg*, 1922.
- 138 — ZIESEMER : *Braunes Beiträge*, 47 Band. 1923.
- 139 — F. LASKE : *Der ostasiatische Einfluss auf die Baukunst*, 1909.
- 140 — B. SCHMID : *Die Bau - und Kunstdenkmäler des Kreises Marienburg*, 1919.
- 141 — Untersuchungen zur deutschen Staats- und Rechtsgeschichte, 71 Heft.
- 142 — R. GRAUL : *Ostasiatische Kunst und ihr Einfluss auf Europa*.
- 143 — H. BOTHMER : *Jahrbuch des Deutschösterreichischen Orientklubs*, 1903.
- 144 — W. PIETSCH : *Die Maler des Orients*, 1895.
- 145 — L. MOHRENWITZ : *Delacroix und die Romantik in Frankreich*, 1913.
- 146 — R. MÜTHER : *Geschichte der Malerei im 19. Jahrg*, 1895.
- 147 — F. HOMMEL : *Die älteste arabische Barlaam-Version*, 1887.
- 148 — Abhandlungen der Preussischen Akad. d. Wiss. Jahrg, 1918.
- 149 — H. NAUMANN : *Primitive Gemeinschaftskultur*, 1921.
- 150 — ETHÉ : *Essays und Studien*, 1872.
- 151 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Bd. 14.
- 152 — M. HABERLANDT : *Der altindische Geist*, 1887.
- 153 — A. FORKE : *Die indischen Märchen und ihre Bedeutung* 1911.
- 154 — KUGLER : *Geschichte der Kreuzzüge*
- 155 — G. JACOB : *Schanfara — Studien*, 1923.
- 156 — BARON CAY V. BROCKDORFF : *Die einsame Insel*, 1917.
- 157 — GEIBLS : *Der Junge Tscherkessenfürst*, 1859.
- 158 — Deutsche Viertel Jahrschrift für Literaturwissenschaft, 1923.
- 159 — GOETHE : *Jahrbuch*, 8. Band, 1887.
- 160 — WILAMOWITZ : *Reden und Vorträge*, 1902.
- 161 — W. BEOWULF : *Das Lied Volkers in Jordans Nibelungen*.

- 162 — GRAF SCHACK: *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sicilien.*
- 163 — Kleinere Schriften. Bd. 2 und 3.
- 164 — G. JACOB: *Moderne Schattenspiele*, (Die Woche, Heft 48, 1907).
- 165 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesell. Bd. 43.
- 166 — M. HABERLANDT: *Der altindische Geist*, 1887.
- 167 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesell. Bd. 41.
- 168 — Sa'dis Bustân 11 v. 185, ed. Graf, S. 157.
- 169 — Sa'dis Bustân 11 v. 70, ed. Graf, S. 145.
- 170 — Ausg. Brockhaus Nr. 117, 7.
- 171 — Haberlandt, *Der altindische Geist.*
- 172 — G. SCHLEGEL: *Chinesische Bräuche und Spiele in Europa*, 1869.
- 173 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesell. Bd. 41.
- 174 — F. JAHN: *Alte Deutsche Spiele.* 1923.
- 175 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesell. Bd. 53.
- 176 — LUISE KLEBS: *Die Reliefs des alten Reiches*, 1922.
- 177 — G. SCHLEGEL: *Chinesische Braeuche und Spiele in Europa*
- 178 — Qazwîni Bd. 1 1.
- 179 — Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Bd. 43
- 180 — VAMBÉRY: *Die primitive Kulture des turko-tatarischen Volkes.*
- 181 — STRUTT: *The Sports and Pastimes of the People of England.*
- 182 — C. SACHS: *Die Musikinstrumente Indiens und Indonesiens*, 1914.
- 183 — Mitteilungen der Deutschen Gesellschaft für Natur- und Völkerkunde Ostasiens., 7. Band.
- 184 — Petschewi, Ta'rih 1, Konstantinopel 1283 h.
- 185 — A. HASTERLIK: *Von Reiz - und Rauschmitteln*: 1918.
- 186 — P. KRAENSEL: *Entwicklung und gegenwaertiger Stand des chinesischen Teehandels* 1902.
- 187 — KAKUZO OKAKURA: *Das Buch vom Tee.*
- 188 — H. WEIGMANN: *Mykologie der Milch.* 1911.
- 189 — FLUECKIGER: *Pharamakonosie des Pflanzenreichs.*

- 190 — Hobson—Jobson. 1889.
 191 — HABERLANDT : *Der altindische Geist*.
 192 — J. J. SAAR : *Ost - Indianische Fünfzehn Jaehrige Kriegsdienste*,
 1672.
 193 — ERMAN-RANKE : *Aegypten*.
 194 — F. HROZAY : *Das Getreide im alten Babylonien*, 1914.
 195 — E. WIEDEMANN : Beiträge 51, 52, 55.
 196 — Verslagen an Mededeelingen IV, 6, 1904.
 197 — V. HEHN : *Kulturpflanzen und Haustiere*, 1911.
 198 — J. BECKMANN : *Beitraege zur Geschichte der Erfindungen*,
 1792.
 199 — M. J. SCHLEIDEN : *Die Rose*, 1873.
 200 — DIETRICH : *Geschichte des Gartenhauses*, 1863.
 201 — *ibid.*
 202 — Mitteilungen der Deutschen Gesell. für Natur — und Völker-
 kunde Ostasiens. 10. Band. 1904.
 203 — PAPYRUS ERZHERZOG RAINER : *Führer durch die Ausstellung*,
 1894.
 204 — KLEBS : *Die Reliefs und Malerein des mittleren Reiches*.
 205 — Dozys suppl. Art. 'dwi.
 206 — B. LAUFER : *Zur Geschichte der Brille*, 1908.
 207 — Türkische Bibliothek, 9 Bd. 1907.
 208 — Wissenschaftliche Mitteilungen für Bosnien 1900.
 209 — Allg. Deutschen Biographie. Bd. 19.
 210 — DE GROOT : *Die Hunnen der vorgeschichtlichen Zeit*, 1921.
 211 — Chemiker Zeitung. 1911, Nr. 127.
 212 — GRAF KEYSERLING : *Reisetagebuech des Philosophen*, 1921.



کشاف

۸۲ :	تصویر	۳۴ ، ۳۲ ، ۱۴ :	بارود	(۱)
۱۵ :	تعریفه	۱۵ :	(بازار)	۱۸ — ۱۷ ، ۲ :
۱۵ :	تفت	۱۰۰ :	(بایونی)	۴۹ ، ۴۷ ، ۴۵ ، ۳۴ ، ۲۸ ، ۲۵
۱۰۲ :	تفریح	۳۵ :	(بت)	۱۲ :
۱۲ :	تکیه	۱۵ :	(برائاش)	۹۵ :
۱۶ :	تلجرافی	۶۲ ، ۳۸ ، ۳۵ :	بردی	ابن الإنسان
۱۵ :	توابل	۱۴ :	برق	۵ :
۹۲ :	(تورا)	۹۳ :	(بروم تویفل)	۲۷ :
۹۹ ، ۱۵ :	(تولب)	۱۰۵ :	(بشلیق)	۱۲ :
۱۵ :	(توهو)	۶۱ :	بصلة	۸۲ — ۸۸ ، ۱۱۱ :
۷ :	(تيجريس)	۴ :	بکندشیه	۱۴ :
۱۲ :	(تیوزوفیه)	۱۰۵ :	(بلوز)	۱۴ :
(ث)		۹۲ :	(بلرمبساک)	۱۵ :
۱۲ :	ثالث عشر	۱۵ :	(بلیتی)	۱۴ :
۳۳ — ۳۲ :	ثلج الصین	۹۵ :	بن	الف یوم ویوم
(ج)		۶۲ :	بناء	الیزابیت
۶۱ :	(جالیه)	۱۵ :	بنیج	الشیع
۲۷ ، ۱۵ :	جبر	۹۶ :	بنش	الصبان
۱۵ :	جبة	۱۲ :	(بہکھو)	امیر
۲۳ :	جزمة	۳۹ :	(بوخ)	(انتریوزفی)
۹۶ ، ۹۴ :	جعة	۳۲ ، ۳۰ — ۲۹ :	بوصلة	(اوبریت)
۵۳ :	جل	۵۳ ، ۳۴ :		(اورینتال)
۱۵ :	(جوکان)	۱۰۳ :	بوم	اوز
۱۵ :	(جوهر)	۹۱ :	(بونین شیل)	(اولان)
۷ :	(جویدار)	۱۵ :	(بوہو)	(اوسیلدیوم)
(ح)		(ت)		ایزیس
۶۴ :	حجر	۸۶ ، ۸۳ :	(تروبادور)	(ایون)
		۸۹ :	تلبه	(ب)
		۱۲ :	تصوف	(باتیک)

٦٢ ، ٥٥ ، ٤ :	سجاد	(ذ)	١٥ :	حديقة
٨٥ :	سجع		٤٥ - ٤٩ :	حروف
١٠٥ :	سروال	٥١ :	٢٣ :	حساب
٩٧ ، ١٥ :	سكر	(ر)	١٠٣ :	حصان
٢٢ :	سكون		١٣ :	حظ
١٥ :	سنت	٣٩ :	٨٣ :	حكمة
١٠٣ :	سمع	١٢ :	٢١ :	حلقة
١٠٢ - ١٠٣ :	سمك	١٤ :	١٠٢ ، ٥٣ :	حمام
١٥ :	سوزان	١٥ :	٥٢ :	حوالة
١٥ :	سوسن	١٥ :	(خ)	
٢٦ - ٢٥ :	سياقة	٣٩ ، ١٥ :	٨٩ :	خرافات
(ش)		٣٥ :	١٥ :	خربة خالية
١٠٥ :	شال	٧ :	٩٨ :	خرشوف
٩٤ ، ١٥ ، ٥ -	شاي	٧ :	٥٧ ، ٥٥ :	خزف
١٠٠ ، ٩٥		١٤ :	٩٤ :	خمر
١٥ :	(شبولك)	١٧ :	٤ - ٣ :	خيال الظل
١٥ :	شجرة	٢٧ :	(د)	
١٥ :	شراب	٧ :	١٤ :	دار الصناعة
٨٣ :	شرب	٣٩ :	٢٣ - ٢٢ :	دارة
٨٩ - ٩١ :	شطرنج	١٠٥ :	٩١ - ٩٠ :	دام
٨٢ - ٩١ :	شعير	٣٩ :	١٥ :	ديران
١٠٥ :	شعر	(ز)	١٠٢ :	دجاج
٧ :	شعير	٥٧ :	١٢ ، ٤ :	دراویش
٢٤ :	(شفر)	٨٦ :	٥٣ :	(دروشكة)
٩٩ ، ١٥ :	شقائق	١٢ :	٣٩ :	(دست)
٦٤ :	شمعدان	٩٩ :	٩١ :	(دومينو)
١٥ :	شوشن	١٥ :	١٢ :	ديسر
٢٥ :	شيء	٩٨ :	٣٩ :	(ديست)
٥٢ :	شيك	(زوركروت)	١٠٢ :	ديك
١٥ :	(شيكان)	٢٤ :	١١ - ١٢ :	دين
(ص)		(س)	٤٤ :	دينار
٢٣ ، ٩ ، ٧ :	صدفة	٩٨ :	٨٣ :	ديوان
١٥ :	صفة	١٢ :		
		٢٧ :		

٩٧ : (كبريا)	٦٢ :	غلاف	٢٤ : ٢٠ ، ١٥ :	صيفر
٣٢ : كبريت	٨٨ ، ٨٣ :	غناء	١٠٢ :	صقر
الكتاب المقدس : ١٥ ، ٨٤ ، ٨٨ ،	١٠٣ :	غنم	١١ - ١٢ :	صلاة
١٤ ، ١٨ - ٢٠ ،	١٥ :	غول	١٥ :	(صوفا)
٢٦ ، ٣٤ - ٣٥ ، ٤٢	(ف)		(ض)	
١٥ : كحول	٣٢ :	غم	١٠٥ :	ضفيرة
٩٣ : (كرتل)	٦١ :	غفار	(ط)	
٩١ : (كرديس)	١٥ :	فراء	٩٢ :	طائرة
١٠١ : كرز	١٠٤ :	فراشة	٩١ :	طاولة
١٥ : (كرشنز)	٥١ :	فضة	١٠٥ ، ١٠٢ :	طاووس
١٥ : (كريقي)	٩٢ ، ٩٠ :	فلك	٤٩ - ٣٩ ، ٣٥ - ٣٤ ، ١٤ :	طباعة
٩٩ ، ١٥ :	فن : ٦١ ، ٨٢ - ٨٣ ، ٨٦ - ٨٧		١٤ :	طبة
١٠٢ - ١٠٣ :	(فورسيتيا) : ١٠٠		٣٣ :	طوريد
٩٢ : (كليك)	(فيزيوكرات) : ٥٣		١٠٤ :	طير
١٠٤ : كوكوك	(فيشرشيشن) : ٩٢		(ظ)	
١٠٠ : (كبزركرون)	١٠٣ :	فيل	الظل الصيني : ٨٨	
١٠٥ : (كيمونو)	(ق)		(ع)	
(ل)	٨٤ - ٨٦ :	قافية	٢٨ - ٢٥ ، ١٤ :	غدد
٣٦ - ٣٥ :	٦٤ ، ١٥ ، ١١ :	قبة	١٠٥ :	عدسة
٩٢ : اعب	١٠٣ :	قرد	٢٠ ، ١٢ :	عذراء
٥٩ ، ٥٧ ، ١٥ :	٩٠ :	قرق	١٤ ، ٥٣ ، ٥٩ :	عربة
٦٢ : لوتس	١٥ :	قز	٩٥ ، ١٥ :	عراق
٢٠ : لوغارتم	٩٧ :	قصب	٢٧ :	عصري
٧ : (لينكس)	١٠٢ :	قط	٨٣ :	عشيق
١٦ : (ليتوجرافي)	١٤ :	قطن	٢٥ - ٢٤ :	علامة X
(م)	١٠٦ ، ١٤ :	قلبق	١٥ :	عود
٣٤ : مادة	١٠٥ ، ٥٥ ، ٤٠ :	قماش	١٢ :	عيد
١١ : مأذنة	٩٤ ، ١٥ ، ٥ :	قهوة	(غ)	
١٥ : ماري	٦١ :	قيشاني	١٥ :	غازية
١٠٣ : ماعز	٥١ ، ٢٤ :	قيمة	١٢ :	غراب
١٥ : مأموت	(ك)		٨٦ ، ٨٣ :	غزال
٩١ : (ماهوج)	١٠٠ :	كاميليا		
١٢ : (متراً)				

۸۵ : (هكسامتر)	۱۵ :	ميشيل	۱۵ :	متيا
۲۷ : هندسة	۵۵ :	مينا	۱۵ :	متياس
۱۵ : (هوردة)	(ن)		۸۳ :	مثل
۱۱۲ : (هيومانيزم)	۱۱ :	ناقوس	۱۱ :	محراب
۱۸ : هيروغليفية	۹۶ ، ۹۴ :	نبيذ	۹۴ :	مخا
(و)	۳۳ - ۳۲ :	نترات	۹۱ :	مخاريق
النسر(الواقع : ۱۵	۹۷ :	نخلة	۱۵ :	مخزن
ورد : ۱۰۰-۹۹ ، ۱۰۳	۹۱ :	نرد	۹۷ : (مرتسيان)	
ورق : ۱۷ ، ۳۴-۳۲ ، ۴۴-۴۵ ،	۱۰۳ :	نسر	۹۸ :	مهربان
۵۱-۵۲ ، ۵۷ ، ۵۹	۵۵ :	نسيج	۱۵ :	مصم
۴۰ : وشم	۱۰۶ - ۱۰۵ :	نظارة	۸۲ :	مضمور
(ى)	۳۱ :	نقط	۱۲ :	مسبجة
ياسمين : ۱۵ ، ۹۹	۲۴ - ۲۲ :	نقطه	۳۳ :	مستق
يوحانان : ۱۵	۹ ، ۱۰-۳۹ ،	نقود	۸۸ :	مسرحة
يوحنا : ۱۵	۵۲-۵۱ ، ۴۴	(نيب)	۲ ، ۱۱-۱۲ :	مسيحية
يوسف : ۱۵	۹۲ :	نيلة	۳۳ - ۳۱ :	(مواد) مفرقة
يوغرت : ۹۵	(ه)		۹۴ :	مقهى
(يوتسو) : ۹۳	۹۴ : (هرزبراي)		۱۱ :	منبر
			۸۶ :	مواليا
			۹۸ :	موثبان
			۷ :	(مونيتا)

كتب أخرى للمؤلف

- (١) التوطئة في اللغة العبرية . القاهرة ١٩٤٠
- (٢) التوراة عرض وتحليل . القاهرة ١٩٤٦
- (٣) Agyptische Volkslieder. Stuttgart 1939

بحوث علمية

- (١) أداة التعريف في اللغة العربية (مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول المجلد السابع يوليه سنة ١٩٤٤)
- (٢) المهزلة (مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول العدد الثامن المجلد الأول مايو ١٩٤٦)
- (٣) The Hebrew by the Samaritans (The Bulletin of the Faculty of Arts May 1942)
- (٤) Sauqf (Orientalistische Studien : Enno Littmann 1935) .

استدراك

صواب	خطأ	سطر	صحيحة
ستة وعشرين	ست وعشرين	٨	٤
خرية	خرية	١٧	١٥
متياس	ميناس	٢١	١٥
ترجع	يرجع	١٢	١٨
أماوى	أساوى	١٣	٢٤
قيل إن	قيل أن	٧	٤٣
ممهدة	معهدة	٤	٤٦
وأغدو	وأغدوا	٦	٨٠
مُهَرَّتَةٌ	مُهَرَّتَةٌ	١١	٨٠
مُرْمِلٌ	مُرْمِلٌ	١٢	٨٠